الوظيفة الفكرية والأداء الفنيّ في التراث الأدبيّ لأهل البيت عليهم السلام

- حكم الإمام محمد الجواد عليه السلام وأمثاله إنموذجاً -

الأستاذ الدكتور
خليل عبد السادة إبراهيم الهلال
Khaleel.alhelali@iunajaf.edu.iq
الجامعة الإسلامية ـ النجف الأشرف

Intellectual function and technical performance In the literary heritage of Ahl al-Bayt (peace be upon them) - the rule of Imam Muhammad al-Jawad (Peace be upon him) and his ilk as an example

Prof. Dr.
Al-helal Khaleel Abdul Sada Ibraheem
The Islamic University , Al Najaf Al Ashraf

الملخص:-

اصطفى الله تعالى، خلقه، مرشدين، يرشدون العباد إلى الطريق المستقيم، الذي رسمه لهم، ووضع لهم أساسا لهذه الدعوة، وأسلوبا تتمّ به، إذ دعا إلى اللطف والرقّة واللين، فكان أئمّة أهل البيت عليهم السلام من هؤلاء الذين اختارهم لهذه الدعوة، الذين كانوا مدرسة واضحة المعالم محدّدة الأسس والأركان والمنهج، وكانوا مفزع العلماء، ومرجع المفكرين والفقهاء، وقد أسهم الإمام محمد الجواد عليه السلام، في فترة إمامته، بوصفه عضوا في هذه المدرسة المعطاء، إسهاما بارزا في إغناء هذه المدرسة العلمية، وحفظ تراثها، ومن بين إسهامات الإمام عليه السلام ما أثر عنه من حكم وأمثال، رسمت، بمضامينها، بعض معالم الطريق، الذي على المسلم أن يسير فيه، ولا يحيد عنه.

وقد استثمر الإمام عليه السلام، لإيصال أفكاره إلى المتلقي قدرة مباحث علوم البلاغة العربية على التعبير والتصوير والتأثير، وهذا يعني أنّه عليه السلام قد وظّف الفن في خدمة الفكر، فكان يقدّم الأفكار والمبادئ الإسلامية بقالب لغويّ تتجلّى فيه كلّ إمكانيات اللغة الفنية، فتتجسّد تلك الأفكار، بهذه اللغة، في الأذهان، وتترك أثرا في الوجدان، لتكون، بعد ذلك، الترجمة الفعلية لتلك الأفكار والمبادئ، وهو عليه السلام، في كلّ ذلك، ينهل من أسلوب القرآن الكريم وأفكاره.

الكلمات المفتاحية: الإمام محمد الجواد عليه السلام، أهل البيت، الحكم والأمثال، الوظيفة الفكرية، الأداء الفني، التراث الأدبي.

Abstract:-

God Almighty chose His creation as guides, who guide the servants to the straight path, which He drew for them, and set for them a basis for this call, and a method by which it is carried out, as he called for kindness, tenderness, and leniency, so the imams of Ahl al-Bayt (peace be upon them) were among those whom he chose for this call. Who were a well-defined school with definite foundations, pillars, and methodology, and they were the fear of scholars, and the reference for thinkers and jurists. Among the contributions of the Imam (peace be upon him) are the rulings and proverbs that wereinfluenced by him, which drew, with their contents, some landmarks of the path that a Muslim must follow and not deviate from.

The Imam (peace be upon him) invested, in order to communicate his ideas to the recipient, the ability of the Arabic rhetoric sciences to express, portray and influence, and this means that he (peace be upon him) employed art in the service of thought, so he was presenting Islamic ideas and principles with a linguistic template in which all the possibilities of the artistic language were manifested, So those ideas, in this language, are embodied in the minds, and leave an impact on the conscience, to be, after that, the actual translation of those ideas and principles, and he (peace be upon him), in all of this, is influenced by the style and ideas of the Noble Qur'an.

Key words: Imam Muhammad al-Jawad (peace be upon him), Ahl al-Bayt, wisdom and proverbs, intellectual function, artistic performance, literary heritage.

من رحمة الله تعالى على البشرية ولطفه أن اصطفى لهم من خلقه مبشرين ومنذرين ومرشدين، يرشدونهم إلى الطريق السويّ، الذي رسمه لهم، داعيا عباده إلى أن يسلكوا هذا لطريق: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[١]، إذ إنّ سلوكه يجعلهم في أحسن حال، ذلك أنّهم إذا أقاموا ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[٢].

وقد وضع الله تعالى أساسا لهذه الدعوة وحدّد أسلوبا تتم به، إذ دعا إلى اللطف في الدعوة، وتوجيه الناس إلى الطريق المستقيم ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٣].

فالدعوة بالإكراه والغلظة من شأنها أن تنفّر الناس من الدعوة والدعاة إلى الله تعالى، فأودع الله تعالى في نفوس الدعاة وقلوبهم رحمة، وفي أسلوبهم رقّة ولينا، لإنجاز مهمة التبليغ والدعوة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٤].

وكان للقرآن الكريم، بأسلوبه وأفكاره، أثر في الأذهان والنفوس، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله: ((ومما لا شكّ فيه أنّ القرآن هو الذي ابتدع هذا الأسلوب المحكم، بل هذا الأسلوب السهل الممتنع، الذي يلذّ الآذان حين تستمع له، والأفواه حين تنطق به، والقلوب حين تصغي إليه))[٥].

ولا غرابة في أن نجد هذا التأثير فيما أثر عن أهل البيت عليهم السلام من أقوال تحمل فكر القرآن، وتغترف منه، وتتلوّن بأسلوبه، إذ إنّهم وظفوا الفنّ في خدمة الفكر، فكانوا يقدّمون الأفكار والمبادئ الإسلامية بقالب لغويّ تتجلّى فيه كلّ إمكانيات اللغة الفنية، فتتجسّد تلك الأفكار، بهذه اللغة، في الأذهان، وتبعث النشوة (اللذة) الفنية في الوجدان، لتكون، بعد ذلك، الترجمة الفعلية لتلك الأفكار والمبادئ، إذ إنّ المنشئ إذا تمكّن من حمل أفكاره إلى متلقيه بقالب لغويّ جميل ضمن إبلاغه ما يريد، وبذا يتحقّق الهدف، وتنجز الرسالة، التي آمن بها. وهذا ما يلحظه المتأمّل فيما أثر عن أهل البيت عليهم السلام من حكم وأمثال، إذ إنّ ما أثر عنهم يشتمل على أمر الدين والدنيا، وجامع لصلاح العاجل والآجل[٦]، وذلك أنّهم يحملون هموم الناس، وهم، من أجل الناس، يسعون إلى الوصول إلى تحقيق أهداف كبيرة.

وهم عليهم السلام، فيما أثر عنهم من نصوص، يوظّفون الفنّ فكريا، ذلك أنّ ((الحقيقة

الفكرية هي التي تستهدف في أيّ نصّ، حيث يوظّف (الفنّ) من أجل توضيحها))[٧]. والمهم، في ذلك، ((هو توصيل الحقائق بلغة ملائمة بحيث أنّ السياق هو الذي يحدّد ما إذا كان الأفضل، مثلا، أن يصاغ النصّ، وفق نسبة كبيرة أو ضئيلة من عناصر ((الإيقاع والصورة))، وغيرهما من عناصر الجمال))[٨].

ولا أريد، هنا، أن أتحدّث على ما أثر عن أهل البيت عليهم السلام من نصوص نثرية تجمع ما بين الوظيفة الفكرية والأداء الفنيّ، بل أريد أن أتحدّث على ما أثر عن الإمام محمد الجواد عليه السلام من حكم وأمثال بوصفها شكلا فنيّا يجمع بين عنصري العاطفة والعقل بصفة أن (الحكمة)، أساسا، تعبير (عقلي)، كلّ ما في الأمر أنّها تصاغ بلغة عاطفية[٩].

اشير، هنا، إلى أنّني اعتمدت على ما أورده الشيخ باقر القرشي رحمه الله في موسوعته ((موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام من حكم الإمام الجواد عليه السلام وأمثاله، وعلى ما أورده أستاذنا الكبير الأستاذ الأول المتمرّس الدكتور محمد حسين علي الصغير رحمه الله في موسوعته ((موسوعة أهل البيت الحضارية)) من تلك الحكم والأمثال، التي وصفها بـ ((الألفاظ الجارية مجرى الأمثال))، والى أنّ بعض نصوص هذه الحكم والأمثال قد يتكرر بعضها، عند دراستها، بسبب تعدّد الظواهر الفنية فيها، والتي يسعى البحث إلى بيانها.

وفي هذه الحكم والأمثال نلحظ توظيفا لفنون البلاغة العربية لإنارة الأفكار، التي قصد الإمام محمد الجواد عليه السلام إبلاغ المتلقي بها، وحثّه على الالتزام بها مراعاة لصالحه وصالح مجتمعه الذي يعيش أفكاره وميوله.

استثمر الإمام الجواد عليه السلام مباحث علم المعاني، الذي لا يمانع الدارسون من دراسته ضمن الأساليب البلاغية المعبّرة عن الأفكار والمعاني[١٠]، موظّفا إيّاها لإنارة الأفكار رغبة في ترسيخها في ذهن المتلقي، وترك آثارها في وجدانه، ضمانا لتفاعله معها، وتوليد رغبة، في نفسه، في ترجمتها في واقعه المعاش بنواحيه المختلفة، فضلا عن أثرها التي تتركه لبناء شخصية الإنسان، الذي يبنى عليه كيان المجتمع السليم المعافى والمبرّء من كلّ مرض يقضي على سواء نفسه.

ولكي يقدّم الإمام عليه السلام الأفكار، التي تعدّ مبادئ وأسسا يقام عليها المجتمع بنواحيه المتعدّدة، يميل، في كثير من حكمه وأمثاله، إلى استثمار قدرة الجملة الاسمية لهذه الغاية، إذ

إنّ الجملة الاسمية، لعدم اقتران الاسم بالزمن، تؤدّى بها الأفكار والمبادئ الثابتة، ما يرسّخ في ذهن المتلقي ما تحمله الجملة الاسمية من مضامين، هي مضامين ثابتة لا يسري إليها التغيير والتبديل، ولا يجوز الحياد عنها بحال من الأحوال، وإلّا لكان الخروج عن الطريق المستقيم، الذي يسعى الإمام عليه السلام إلى أن يبيّن معالمه، وأن يضع الإنسان المسلم عليه، من ذلك قوله: **((ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله تعالى: كثرة الاستغفار، وخفض الجانب، وكثرة الصدقة، وثلاث من كنّ فيه لم يندم: ترك العجلة، والمشورة، والتوكّل على الله تعالى عند العزم))**.

فالأمور، التي شخّصها الامام الجواد عليه السلام، في هذا القول، ثلاث من شأنها أن تقرّب الإنسان (العبد) إلى ربّه، وينال رضاه: كثرة الاستغفار، ولين الجانب، وكثرة الصدقة، وثلاث تسعده في هذه الحياة: ترك العجلة، والمشورة، والتوكّل على الله تعالى عند العزم.

وقد صاغ الامام عليه السلام هذه الأفكار والمعاني بجملتين اسميتين، حذف منهما المبتدأ إثارا للإيجاز، الذي يعدّ هو البلاغة، على حدّ جواب (صحار بن عيّاش العبدي) عندما سئل: ما تعدّون البلاغة عندكم؟[١١]، ورغبة في الوصول إلى ذهن المتلقي ووجدانه من أقصر طريق.

وهذه الأمور الثلاث، التي أراد الامام عليه السلام أن يجعل من الإنسان إنسانا سويّا متوازنا، جعله مرتبطا بربّه: (كثرة الاستغفار) و(التوكّل على الله تعالى عند العزم)، ساعيا في خدمة مجتمعه مراعيا أفراده (خفض الجانب)، و(كثرة الصدقة)، وراسما له طريق السلامة (ترك العجلة) و(المشورة).

وهذه الأمور، في جملتها، تجعل الإنسان الفرد مرتبطا بخالقه تعالى دون أن يقطع صلته بمجتمعه، فضلا عن أنّها لا تنسيه نفسه، التي عليه أن يراجع أفعالها، فيستغفر ربّه لما جاء من هفوات وذنوب: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١٢]، وأن يتوكّل عليه في كلّ الأمور: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[١٣].

ولكون هذه الأمور من الثوابت (ثوابت الإسلام) صاغها الامام عليه السلام بجملة اسمية، التي ((تفيد، بأصل وضعها، ثبوت شيء لشيء ليس غير بدون نظر إلى تجدد ولا استمرار،

لأنّها موضوعة لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه، ولعدم وجود قرينة تنفي ذلك عنها[١٤]، قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ): ((إنّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدّده شيئا بعد شيء))[١٥].

فالأمور الثلاث: كثرة الاستغفار، وخفض الجانب، وكثرة الصدقة، الحكم عليها في أنّها تبلغ بالعبد رضوان الله تعالى، أمر ثابت لا يتغيّر، ولا يتجدّد، ولا يحدث شيئا فشيئا، فكان التعبير، عنها، بجملة اسمية.

وكذا حال الثلاث الأخرى: (ترك العجلة) و(المشورة) و(والتوكّل على الله تعالى عند العزم)، التي لم يندم الإنسان إذا راعاها ووضعها في منهجه في الحياة، إذ إنّ هذه المفردات تربّي الإنسان، وتبعث الاستقرار والسواء في نفسه، فبترك العجلة يبعد نفسه عن الوقوع في كثير من المشاكل والخطوب، وبالمشورة يجنّب نفسه الوقوع في الخطأ، وعدم الاستبداد بالرأي، وبالتوكّل على الله تعالى عند العزم يبعد نفسه عن التردّد الذي يسبب له القلق النفسي، والاضطراب في الشخصية. وهذه الأمور ثابتة، والحكم عليها ثابت لا يتغيّر ولا يتبدّل ((لم يندم))، لذا جاء التعبير عنها بجمل اسمية. فالإمام عليه السلام جاء ليقرر أمورا ثابتة سواء في ذلك ما كان يكسب رضا الله تعالى أم ما يبعد الندم عن الإنسان.

وصياغة الأمور الثابتة، التي تمثّل مبدأ أساسيا يبنى عليه نلحظه، أيضا، في قوله عليه السلام: **((يوم العدل على الظالم أشدّ على الظالم من يوم الجور على المظلوم))**.

فالإمام عليه السلام يحذر مستثمرا دلالة اسم التفضيل (أشدّ) ووظيفته في السياق، من الظلم والاعتداء على الناس، فإنّ الله تعالى لا بدّ من أن ينتقم من الظالم إن عاجلا أو عاجلا، وأنّ يوم العدل والقصاص الذي يمرّ عليه يكون شبيها، في شدّته وقسوته باليوم الذي كان على المظلوم[١٦]. قال الرسول الكريم: ((اتق دعوة المظلوم فإنّه ليس بينها وبين الله حجاب)).

وهذه المضامين تمثّل أمرا ثابتا لا يتبدّل ولا يتغيّر، لذا صيغت بجملة اسمية، التي تسهم، بدلالتها، في ترسيخ هذه المضامين في ذهن المتلقي، وبالتالي تجعله يتجنّب ظلم الآخرين خوفا من أن يكون موضع انتقام الله تعالى منه، وفي هذه الناحية ما يسهم في تربية الإنسان المسلم، وفي بناء شخصيته السوية، التي تجمّل صورة المجتمع الذي يعيش فيه بوصفه لبنة من

لبناته. وفي هذا القول إسهام منه عليه السلام في بناء شخصية المسلم، وبالتالي بناء شخصية المجتمع المسلم السليم.

وفي قوله عليه السلام: **((الدين عزّ، والعلم كنز، والصمت نور))**.

تعبير عن أمور ثابتة، لا تتغيّر ولا تتبدّل، عبّر عنها مستثمرا دلالة الجملة الاسمية، لصياغتها، فتقوى الله تعالى عزّ وشرف للإنسان، وأنّ العلم أعظم الكنوز وأثمنها في هذه الحياة، والصمت يجنب الإنسان كثيرا من المشاكل والخطوب.

وقوله عليه السلام: **((العلماء غرباء لكثرة الجهّال بينهم))**.

ينبّه الامام عليه السلام، وهو يسعى إلى بناء المجتمع المسلم السوي، الذي من مبادئه احترام العلم والعلماء، إلى حقيقة مؤلمة وثابتة جاء بها بجملة اسمية، لثبات المضمون وعدم تغيّره وحدوثه، إذ إنّ غربة العلماء في مجتمع يسوده الجهّال أمر ثابت، وحقيقة يدركها كلّ عاقل، ويتألّم لوجودها، إذ إنّ العلماء، وهم يشعرون هذا الشعور، لا يجدون لبضاعتهم (علمهم) من يقيم لها وزنا. فالجاهل منصرف عن العلم والعلماء لجهله به، والناس، كما يقال، أعداء ما جهلوا، وهذا الانصراف عنهم يولّد في النفوس ألما وحسرة، لعدم وجود من يجني ثمار جهودهم العلمية، فتبقى هذه الثمار في الأشجار حتى ينتهي أثرها ومفعولها. والامام عليه السلام لم يترك تفسير هذه الغربة، بل فسّرها وعلّلها بقوله: ((لكثرة الجهّال بينهم))، لكي يحيط هذا المضمون بشيء من الواقعية، وبخاصة باستعمال صيغة المبالغة (الجهّال).

وقوله عليه السلام: **((راكب الشهوات لا تقال عثرته))**.

صيغ بجملة اسمية تضمّنت أمرا ثابتا، إذ إنّ الذي ينقاد إلى شهواته ولذّاته يكون أسيرا لها، ولا يعذر في ذلك.

وهذه الأمور الثابتة، بهذه الجملة الاسمية، تثبت في ذهن المتلقي ما يجعلها مخزونا في ذاكرته وذهنه، ليستفيد منه في حياته وتعامله مع الآخرين، إذ إنّ فيها ما يدعو المتلقي إلى النظر في نفسه وسلوكها، ليهذّبها منه بما يناسب المجتمع الإسلامي ذا المبادئ السامية.

وقوله عليه السلام: **((عزّ المؤمن من غناه عن الناس))**.

جملة اسمية، فيها أمر ثابت إذ إنّ غنى المؤمن عن الناس يجنبه كثيرا من الاحراج والحاجة إلى الناس، لأنّ الحالة تذلّه، وتحرجه، وتقلّل من قيمته، إذ إنّ الحاجة، كما يقال، ذلّ ولو بسؤال: أين الطريق؟ فمن أغناه الله تعالى عن الناس كان حرّا، ملك عزّه وشرفه.

وقوله عليه السلام: **((العافية أحسن عطاء))**.

مضمون صيغ بجملة اسمية، لأنّه أمر ثابت لا يتبدّل ولا يتغيّر، إذ إنّ كون (الصحة) أحسن عطاء، هو أمر ثابت لا يختلف فيه اثنان، وكما قيل: من عافاك فقد أغناك، والذي يفقد الصحة يفقد أشياء كثيرة، وهذا الأمر ثابت، لذا جاءت الجملة اسمية.

وفي القول دعوة إلى أن ينتبه المرء إلى هذه النعمة التي لا تقدّر بثمن، لذا جعلها الامام عليه السلام أحسن عطاء، وليثبّت هذا المعنى في ذهن المتلقي تثبيتا لإيمانه بالله تعالى المعطي والمنعم، إذ إنّ من يحرم العافية فقد حرم كلّ شيء في الحياة، لذا على المرء أن يشكر الله تعالى على هذه النعمة، وبذا يقوّي الامام عليه السلام ارتباط الإنسان بخالقه المنعم.

وقوله عليه السلام: **((التحفّظ على قدر الخوف، والطمع على قدر النيل))**.

فالتحفظ والحذر من أيّ شيء كان إنّما هو على قدر الخوف منه. وهذا أمر ثابت تؤيده الممارسات اليومية، إذ إنّ ملاحظة الواقع وما يحدث فيه تؤيد ثبوت هذا الأمر وعدم حدوثه، لذا جاء التعبير عن هذا المضمون الثابت بالجملة الاسمية، فكما كانت درجة الخوف من أمر ما يكون الحذر والتحفّظ منه.

فالتحفظ من الوقوع في المعاصي إنّما هو على قدر الخوف من الله تعالى، فإن كان الخوف قويّا يمتنع الإنسان امتناعا كليا من اقتراف أيّ ذنب أو مخالفة لله تعالى، وإن كان ضعيفا فإنّه قد يقع في الاثم والحرام(١٧).

وكذا الأمر في القسم الثاني من القول: ((والطمع على قدر النيل))، فهذا المضمون ثابت تؤيده الأحداث وتجارب الأيام، فإنّ كان النيل متوافرا له كان الطمع قويا، والعكس صحيح.

وقوله عليه السلام: **((موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبرّ أكثر من حياته بالعمر))**.

فالإمام عليه السلام، في هذا القول، يشير إلى (الحياة المعنوية). فالإنسان ودوام حياته مقرون بعمله وما يقدّمه لمجتمعه وأسلوب حياته وتعامله مع أبناء مجتمعه. فالذي يقترف الذنوب والجرائم فهو ميّت بين الأحياء. وهذا الأمر متعارف عليه في المجتمع، إذ إنّ أهل هذا المجتمع لا يذكرون من يفسد في مجتمعهم، بل أنّهم يتعمّدون نسيان مثل هذا الإنسان لما يسببه لهم من الألم النفسي، الأمر الذي يربك حياة المجتمع، وهو موت حلّ به قبل حلول أجله.

وهذا الأمر (موت الإنسان وهو حيّ) أمر ثابت في أذهان أبناء المجتمع وفي ثقافتهم، لذا جاء التعبير عنه بالجملة الاسمية.

والذي يعمل البرّ ويسدي الخير للأمته وبلاده، وهو مؤمن، فهو حيّ، ذكره مخلّد وإن فارق الحياة.

فأبناء المجتمع يعيدون ذكر من يعمل الخير ويحسن التصرّف والتعاون مع أبناء مجتمعه، ويسدي لهم الخير والمعونة، بل إنّهم يذكرونه وهم يرتاحون لذكره، وأنّهم يتفاخرون بذكره بوصفه واحدا منهم، وهذا ما يجعله حيّا على الرغم من موته، وأنّ حياته حياة طيّبة.

وهذا المعنى أشار إليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٨].

وهذا أمر ثابت، لا يتسلل إليه التغيير والحدوث، لذا عبّر عنه عليه السلام بالجملة الاسمية.

وفي قوله عليه السلام: **((أربع خصال تعين المرء على العمل: الصحة، والغنى، والعلم، والتوفيق))**

أمور ثابتة، ولها نصيب وافر من الواقع، وهذه الأمور(الخصال) هي: الصحة، والغنى، والعلم، والتوفيق، ولما كانت هذه الأمور من الثوابت عبّر عنها عليه السلام بالجملة الاسمية، ليشعر المتلقي بثبوت هذا الحكم الذي ذكره الامام عليه السلام، ما جعل المتلقي لا يفكّر في الاعتراض أو مناقشة هذا المضمون، بل يتخذ منه أساسا ومبدأ في حياته مستفيدا من قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: ((اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك))[١٩].

وهذه الأمور الثابتة، التي عبّر عنها الامام عليه السلام بالجمل الاسمية، نلحظها في أقواله عليه السلام:

((العامل بالظلم، والمعين عليه، والراضي به شركاء ثلاثتهم)).

((الصبر على المصيبة مصيبة للشامت)).

((مقتل الرجل بين فكّيه)).

((الناس أشكال، وكلّ يعمل على شاكلته)).

((الناس إخوان فمن كانت أخوته في غير ذات الله فإنّها تعود عداوة، وذلك قوله عزّ وجلّ: ((الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتقين)).

((كفر النعمة داعية للمقت)).

((الشريف كلّ الشريف من شرّفه علمه، والسؤدد حقّ السؤدد لمن اتقى الله ربّه)).

((إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له)).

((الأيام تهتك لك الأمر عن الأسرار الكامنة)).

((أفضل العبادة الإخلاص)).

((الثقة بالله ثمن لكلّ غال، وسلّم لكلّ عال)).

فهذه الأقوال، كسابقتها، تضمنت مضامين ثابتة، لذا جاءت بجمل اسمية، لثباتها وعدم تغيّرها، وهي، مضافا إلى ذلك، صيغت بأسلوب (الخبر الابتدائي)، فجميعها خالية من المؤكّدات، لخلو ذهن المتلقي من الحكم، وعدم تردّده فيه، لتمكّن الحكم في الذهن حيث وجده خاليا[٢٠]. قال السكاكي (ت٦٢٦هـ): ((فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عما يلقى إليه، ليحضر طرفاه عنده، وينتقش في ذهنه استناد أحدهما إلى الآخر ثبوتا أو انتفاء، كفى في ذلك الانتقاش حكمه، ويتمكّن لمصادفته إياه خاليا))[٢١].

إنّ الامام عليه السلام استعمل الجملة الاسمية للتعبير عن المور الثابتة مستثمرا دلالة هذه الجملة على الثبات وعدم الحدوث، إذ إنّ الاسم، على حدّ قول الشيخ الجرجاني (ت٤٧١هـ)، موضوع على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدّده شيئا بعد شيء[٢٢].

أما إذا أراد الامام عليه السلام أن يجعل المعاني والمضامين متجدّدة الوجود في ذهن المتلقي مؤثرة تأثيرا متجدّدا في نفسه صاغ تلك المضامين والأفكار بجمل فعلية، إذ إنّها موضوعة لإفادة التجدّد والحدوث في زمن معيّن مع الاختصار[٢٣]، ذلك ((إنّ الفعل دال بصيغته على أحد الأزمنة الثلاثة بدون احتياج لقرينة... ولما كان الزمان، الذي هو أحد مدلولي الفعل، غير قار بالذات، أي لا يجتمع أجزاؤه في الوجود كان الفعل، مع إفادته التقييد بأحد الأزمنة الثلاثة، مفيدا للتجدّد))[٢٤]. قال الشيخ الجرجاني: ((وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدّد المعنى المثبت له شيئا بعد شيء))[٢٥].

فالجملة الفعلية تدل على نسبة الحدث المتجدّد لفاعله، قال الدكتور المخزومي: ((الجملة الفعلية هي التي يدل فيها المسند على التجدّد، والتي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا متجدّدا، وبعبارة أوضح: هي التي يكون فيها المسند فعلا، لأنّ الدلالة على التجدّد إنّما تستمدّ من الأفعال وحدها))[٢٦].

وما يلاحظ على أقوال الامام عليه السلام وأمثاله أنّه استعمل أساليب الإنشاء الطلبي كأسلوب الأمر والنهي والاستفهام، والقصد من ذلك هو أن يجعل المتلقي يسمع هذا الكلام في دائرة هذه المضامين التي تفهم من هذه الأساليب، ما يتيح له فرصة التأمّل فيها، والوقوف عندها طويلا، لأنّه يسمع من إمام مفروضة طاعته، وبهذا التأمّل وذلك الوقوف الطويل ترسخ المفاهيم والمضامين في ذهنه، وبترسخها هذا ينتقل تأثيرها على النفس، فتمتثل إلى تلك الأوامر والنواهي، فيكون القصد قد بلغ، والهدف قد تحقّق، ذلك أن الأمر والنهي يقع بالفعل، الذي يجعل تلك المضامين متجدّدة في ذهنه، لدلالته على التجدّد وعدم الثبوت.

فمن أجل بلوغ القصد، وإيصال المطلوب إلى المتلقي إيثارا لامتثاله، وقصد الالتزام بما أمر به، صاغ الامام عليه السلام مضامين ارشاداته ومواعظه بأسلوب الأمر بدلالته الحقيقية، الذي هو في اصطلاح البلاغيين: ((طلب الفعل على وجه الاستعلاء والالزام))[٢٧].

من ذلك قوله عليه السلام لرجل قال له: أوصني؟ قال عليه السلام: **((توسّد الصبر، واعتنق الفقر، وارفض الشهوات، وخالف الهوى، واعلم أنّك لن تخلو من عين الله، فانظر كيف تكون))**[٢٨].

فالقول مؤلّف من جمل صدّرت بفعل أمر ذي دلالة حقيقية، صادرة من الأعلى إلى الأدنى، لتكون الوصية ملزمة التطبيق. وهذا التطبيق يلازم حياة السائل ومن سمع، لأنّ

الأفعال، كما أشرنا، تدل على التجدّد وعدم الثبوت، إذ إنّ المضامين التي تضمنها قوله عليه السلام مضامين غير ثابتة، بل تتبدّل وتتغيّر تبعا لتقلّب الزمان والأحوال: (توسّد الصبر)، و(اعتنق الفقر)، و(ارفض الشهوات)، و(خالف الهوى)، هذه المضامين قد يلتزم بها المرء ما دام حاله يقتضى مثل هذا الالتزام، وبتغيّره يتغير هذا الالتزام، ويتبدّل بنقيضه.

وأسلوب الأمر، بدلالته الحقيقية نلحظه في قوله عليه السلام: **((اصبر على ما تكره فيما يلزمك الحقّ، واصطبر عما لا تحبّ فيما يدعوك إلى الهوى))**.

ففي هذا القول طلب صاغه الامام عليه السلام بصيغة أسلوب الأمر، وهو فعل الأمر (اصبر)، و(اصطبر)، وهما فعلان يتضمنان ويشيران إلى أنّ الطلب بهما ينمّ عن أنّ هناك أمرا فيه تعب ومشقّة ومعاناة تقتضي الصبر والاصطبار، لأنّه، في بعض جوانبه، يخالف الرغبات والميول، ومجاهدة النفس تجعل المرء في معاناة وهو يصارع نفسه الأمارة بالسوء، لذا أمر الامام عليه السلام الناس بالانقياد للحقّ، وإن كان مخالفا للرغبات والميول، وأمرهم بمجانبة الهوى والابتعاد عنه.

ولكي يوحي الامام عليه السلام إلى المتلقي بضرورة الاستمرار بالامتثال إلى مضامين هذا الأمر، وتجدّد العمل بدون انقطاع صاغه بالفعل، الذي يرتبط بالزمن المتجدّد والمتغيّر، ولكي يلزم متلقيه بهذا الأمر أمره بضرورة اتباعه، وعدم التخلي عن القيام به.

ومن أسلوب الانشاء الطلبي بفعل الأمر قوله عليه السلام: **((وارحموا ضعفاءكم، واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة لهم))**.

فالرحمة وطلبها من الله تعالى للضعفاء والمساكين أمر لا يختصّ بمؤمن، ولا يثبت في حال، بل هو مستمر ومتجدّد وغير ثابت، لذا جاءت الصياغة جملة فعلية. فالرحمة بضعفاء المجتمع، وطلب الرحمة لهم من الله تعالى رحمة، وقد قيل: إنّما ترحمون بمساكينكم.

ومن أقوال الامام عليه السلام بالجملة الفعلية قوله: **((إياك ومصاحبة الشرّير، فإنّه كالسفّ المسلول، يحسن منظرهن ويقبح أثره))**.

الذي تضمن التشديد في الطلب، وضرورة الالتزام بمضامينه، استعماله عليه السلام (إيّاك) في باب التحذير، إذ إنّه عليه السلام يحذر المتلقي من مصاحبة الشرير، الذي يناقض مظهره مخبره، فهو

يظهر للناس الخير، ويضمر ما كمن في نفسه (الشرّ) لهم، ولكي يجعل الامام عليه السلام صورة هذا الشرير، ويجسّد سلوكه مثّله بصورة السيف المسلول ذي المظهر الحسن، والأثر القبيح.

وأثره القبيح يكمن في أنّه يحجب عمن يستمع إليه، ويأخذ بمشورته الحقّ والرشد، ويزيّن له ما يلائم هواه وميوله، وإن كان مخالفا للصواب. وقد حكم عليه الامام عليه السلام مؤكدا أنّه عدو له، ولا يريد له الخير، وهذا التوكيد جاء بالحرف (قد)، الذي يفيد، بدخوله على الفعل الماضي التحقيق، وهو من مؤكدات الخبر.

وقد صاغ الامام عليه السلام، هنا، الخبر مؤكدا، لأنّ حقيقة هذا الأمر (عداء من ستر عنك الرشد اتباعا لما تهواه) تخفى على بعض الناس، لأنّها أمر داخل نفس المنافق، لا تظهر للعلن إلّا بعد حين، ما يجعلهم يتردّدون في قبوله، والتصديق به، لذا اقتضى توكيد الخبر بمؤكد واحد. وقد أشار الشيخ القرشي رحمه الله إلى أنّ الامام عليه السلام ((عرّض... بذلك إلى بعض الأذناب والعملاء من أذناب السلطة، الذين يحجبون عن المسؤولين ما تحتاج إليه الأمة من الإصلاح الشامل، ففي الحقيقة هم الأعداء، وإن أظهروا المودّة والإخلاص))[٢٩].

ولما كان واجب الامام عليه السلام الشرعي هو توجيه الناس إلى الخير والطريق المستقيم أمرا، كما في الأقوال السابقة، ونهيا، كما سنرى في أقواله في هذا الميدان.

فقد استعمل الامام عليه السلام، في باب أسلوب الانشاء الطلبي، أسلوب النهي، الذي يعني، عند البلاغيين، ((طلب الانتهاء عن الاتيان بالفعل))، ذلك أنّ أسلوب النهي يوحي، في جملة إيحاءاته، بالتحذير من القوع في المزالق والمرديات، والوقاية منها، وعلاج ما كان منها، وهذا التشخيص والعلاج يسهمان إسهاما فاعلا في بنا المجتمع، والبناء الروحي لأفراده. من ذلك قوله عليه السلام: **((لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا، ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم، وارحموا ضعفاءكم، واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة لهم))**.

ففي هذا القول أمور بالغة الأهمية، إذ إنّ الانتهاء عنها من شأنه أن يجنّب المرء الشعور بالندامة الحسرات، اللذين يورثان النفس الألم، الذي يشلّ قدراته وإمكانياته، وبذلك يخسر المجتمع اسهاماته في البناء والتطوّر.

وهذا النهي تضمنه هذا القول، فيه نهي عن العجلة والتسرّع في اتخاذ القرار، والحكم في الأمور قبل أن يتبيّن حالها ((لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا))، إذ إنّ مثل هذا

القرار، عادة، يكون غير صائب، وأنّ الحكم يجانب الحقيقة وواقع الحال، ويجرّ الندامة والخسران، وما يترتب عليها من ألم نفسيّ، وهو ألم يشلّ قدرة الإنسان على القيام بما أوكل إليه من مهام بوصفه عضوا في مجتمع يطالبه بالإسهام في بنائه بناء سليما، والحفاظ على هذا البناء قويا متماسكا، ينعم فيه أفراده بحياة هانئة مستقرّة.

وفي القول، إلى جانب ذلك، نهي عن طول الأمل ((ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم))، لأنّ طول الأمل، في بعض أدواره، من شأنه أن يعطل قدرات الفرد، الذي يبقى أسيرا لأمله، لأنّه يبعده عن القيام بأمور أخرى بمقدوره أن يقوم بها، وطول الأمل ((يوجب قسوة القلب، والبعد عن الله)). ويلاحظ أنّ الامام عليه السلام، في هذا القول، يخاطب الجماعة: (لا تعاجلوا)، (فتندموا)، (ولا يطولنّ عليكم)، (وارحموا)، (واطلبوا)، وفي هذا الخطاب ما يشير إلى اهتمامه عليه السلام بالمجتمع، ولسعي الحثيث لبنائه بناء سليما قائما على أسس قوية، فضلا عن بناء أبنائه بناء روحيا، كما في القول دعوة إلى طلب الرحمة من الله تعالى.

وهذا النهي نجده في قوله عليه السلام: **((لا تكن وليّا لله في العلانية عدوا في السرّ))**.

وهذا القول نموذج لسعيه عليه السلام إلى رصد علاقة العبد مع ربّه، وربط تصرفاته بخالقه، إذ يدعو إلى أن تكون هذه العلاقة مبنية على الصدق والإيمان الخالص، علاقة لا تشوبها شائبة في العلانية وفي السر، لذا جاء نهيه عليه السلام عن أن يكون المرء ((وليا لله في العلانية عدوا له في السرّ))، وهذا من دور الامام عليه السلام في بناء شخصية المسلم، شخصية تقوم على سلامة الموقف والإيمان ظاهرا وباطنا، سرّا وعلانية، وقد وعد هذه الشخصية بالأجر والثواب في آيات كثيرة. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٣٠)، وقال تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾(٣١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(٣٢).

فالذي يتولى الله تعالى، ويؤمن به إنما يكون صادقا فيما إذا خاف الله تعالى في علانيته وسره، أما إذا تولاه أمام الناس، وعصاه سرا لم يكن في إيمانه صادقا، وإنما كان كاذبا ومنافقا.

وكما عالج الامام عليه السلام، في أقواله، قضية علاقة الإنسان مع ربّه، وضع أسسا لبناء علاقته مع مجتمعه، التي أراد أن يجعلها هي، أيضا، قائمة على أساس من العلاقة مع الله تعالى، وهذا الأمر نلحظه في نهيه عليه السلام حيث يقول: **((لا تعادينّ أحدا حتى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى، فإن كان محسنا لم يسلمه عليك، وإن كان مسيئا فإنّ علمك به يكفيكه فلا تعاديه))**.

فالإمام عليه السلام، وهو ينظّم العلاقة بين أفراد المجتمع، والتي يريد أن تكون مبنية وفق ما أراده الله تعالى، بعد معرفة حقيقة الأمر، أو حقيقة من نريد أن نتخذ منه موقفا، وطبيعة علاقته بالله تعالى، محسنا كان أم مسيئا، لذا حذر الامام عليه السلام من العداوة للناس، وأنّ المسلم ينبغي أن يغرس في نفسه الحبّ والولاء لأخيه المسلم، وأمر بالفحص عمن تعاديه، فإن كانت علاقته قوية مع الله تعالى فإنّه لا يسلمه لنا، وإن كان مسيئا فعلمنا بإساءته يكفينا عن عداوته. والامام عليه السلام، في تحذيره، يصوغ عباراته بأسلوب النهي، الذي ينمّ عن التنبيه من الوقوع في المحذور.

ومن تحذيره عليه السلام مستعملا أسلوب النهي قوله: **((لا يغرّك سخط من رضاه الجور))**.

وفيه تحذير من الاتصال بالظالمين الذين إذا سخطوا قابلوا الناس بالاستبداد والجور. وهذا التحذير، الذي جاء بأسلوب النهي، إسهام في تقويض سلطة الظالمين، وإضعافهم لتخليص أبناء المجتمع من شرورهم، وإفسادهم، إذ إنّ الركون إليهم هو تشجيع لهم، وتأييد لأعمالهم، ما يجعلهم يواصلون ظلمهم، وهذا ما نهى عنه الله تعالى في كتابه المجيد في قوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾(٣٣).

وهو نهي ينمّ عن أنّ الركون إلى الظالمين ذنب عظيم، يدخل من اقترفه نار جهنم خالدا فيها، وينمّ، أيضا، عن خطره على كيان المجتمع، وسلامة افراده.

وفي أقوال الامام عليه السلام استعمال لأسلوب الاستفهام لتحقيق مشروعه، مشروعه الذي يهدف إلى بناء شخصية المسلم روحيا ونفسيا، وإقامة أسس كيان المجتمع الرسالي القوي، إذ إنّنا نجد من بين حكمه وأمثاله توظيفا لأسلوب الاستفهام، واستثمارا لقدرة هذا الأسلوب على ترسيخ المفاهيم الدنيوية والأخروية، التي وضعها الإسلام الحنيف، ذلك لما لهذا الأسلوب من قدرة على إيقاظ المتلقي، وتحريك فكره، وحثّه على النظر والتأمل والتفكير

والتدبّر، وهذا هو (لبّ الاستفهام)، ليصل، عن طريق البحث، إلى الإيمان والإقرار بما ساقه في استفهامه[٣٤]، وما كان هذا ليحدث إلّا بالمعاني المجازية التي يخرج إليها أسلوب الاستفهام، وهذه المعاني يرجع في إدراكها إلى الذوق الأدبي، ولا يكون استعماله في غير ما وضع له إلّا لطريقة أدبية، تجعل لهذا الاستعمال مزية يترقّى بها الكلام في درجات البلاغة[٣٥].

وهذه الظاهرة نلحظها في قوله عليه السلام: **((كيف يضيع من الله كافله، وكيف ينجو من الله طالبه))**.

إذ صاغ حديثه بأسلوب الاستفهام الخارج إلى معنى مجازي، هو النفي، نافيا أن ((يضيع من الله كافله))، وأن ينجو ((من الله طالبه))، وهو عليه السلام، بذلك، يريد ان يضع لبنة في بناء شخصية الفرد المسلم بناء روحيا، فيجعله متصلا بالله تعالى، واثقا بقدرته. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المضمون بقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[٣٧]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾[٣٨].

وهذه الثقة أشار إليها القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام حكاية عن النبي يعقوب عليه السلام بقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٣٩].

وهذه الثقة نجدها واضحة بيّنة في قول الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

إلهي إذا لم ترعني كنت ضائعا وإن كنت ترعاني فلست أضيّع[٤٠].

فالإمام الجواد عليه السلام، في حديثه هذا، قد صاغ تنبيهه ووعظه بأسلوب عدل فيه عن الاستفهام بدلالته الحقيقية إلى دلالته المجازية (النفي)، ليجعل المتلقي يتأمّل ويفكّر رغبة في الوصول إلى دلالة هذا الأسلوب في سياق حديثه عليه السلام، وفي هذا أداء يسبغ على النصّ جمالا، إذ ((إنّ سرّ التعبير في جمال أسلوب الاستفهام والعدول إليه عن أسلوب النفي تنبيه السامع في صورة السؤال، ليدعوه إلى البحث عن الجواب، حتى يصل بنفسه ويتحرّك بحركة الوجدان))[٤١]، فتلقى الدعوة إلى الاتصال بالله تعالى صدى في نفسه، فتزداد ثقة بالله جلّت قدرته، فتطمئنّ نفسه، ويستريح ذهنه، ويتحقّق الهدف، وهو بناء شخصية

الإنسان المسلم بناءً روحياً.

ويكثر، في أحاديث الإمام عليه السلام وحكمه استعمال أسلوب الشرط، ولا يخفى على العارف بأساليب اللغة العربية، ما لهذا السلوب من دور في ترسيخ كثير من المفاهيم والمبادئ في ذهن المتلقي، لما فيه من جزاء على عمل ما، سواء، في ذلك، الإيجابي منه أم السلبي.

وتوظيف هذا الأسلوب ودلالاته نلحظه في قوله عليه السلام: **((من شتم أجيب، ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى))**.

لبناء شخصية الإنسان بناء سليما، إذ فيه دعوة إلى أن يمتنع المرء عن التعرّض للناس بالشتم والسباب، لأنّه يجاب بالمثل، وفي ذلك تفكيك لأواصر الصلة في المجتمع، وإضعاف له، لما يسببه هذا الأمر من عداء بين أفراد المجتمع الواحد، والابتعاد عنه يبقي عرى الترابط قائمة، ويبقى، تبعا لذلك، كيان المجتمع متماسكا، لا يتعرّض، فيه، المرء إلى أبناء مجتمعه بما يكرهون، وفي ذلك إسهام من الامام عليه السلام في تربية نفس المتلقي تربية اجتماعية راقية، إذ ينبّهه إلى ثمار فعله (شتم)، الذي لا بدّ من أن يجني ثمار هذا الفعل، الذي يحدث ردّة فعل من المقابل، فيأتي بفعل مثله ((لكلّ فعل ردّة فعل مساو له في القوة، ومعاكس له في الاتجاه)). وهذ الأمر أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٤٢]. فالإمام عليه السلام يحذر المرء وينبّهه إلى أنّ ما يأتي به من عمل يلقى جزاءه.

وقد جمع الامام عليه السلام في القسم الثاني من قوله بين جانبين: الجانب الاجتماعي والجانب الديني (الروحي)، وهذا الجانب الديني تشير إليه مفردة (التقى)، فضلا عن تضمنها الجانب الاجتماعي، الذي يشير إليه السياق، ويلمح منه.

فالمرء الذي ((يغرس أشجار التقى)) يجني ثمار غرسه عند الله تعالى دنيا وآخرة، ويجني ثمار غرسه في مجتمعه، إذ يكسب رضا أبناء مجتمعه، وودّه، وبذا يحيا المجتمع حياة طيبة هادئة، فضلا عن اجتنائه ((ثمار المنى)).

وهذا الأسلوب له أثر نفسي على الإنسان، ذلك لما فيه من ترغيب فيما تضمنه من أمور حسنة: ((ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى))، وترغيب عمّا تضمنه من أمور سيّئة: ((من شتم أجيب)). وفي هذا كلّه يتحقّق بناء شخصية الإنسان الفرد اجتماعيّا وروحيّا،

فضلا عن تشكيل ملامح صورة المجتمع السويّ.

وأسلوب الشرط نلمسه في قوله عليه السلام: **((من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح))**.

وفيه تنبيه إلى أن يتسلّح المسلم بالعلم والمعرفة في ميدان كلّ عمل، ليفضي عمله إلى إصلاح ما سعى إلى إنجازه، إذ إنّ المرء الذي يؤدّي عملا ما بعلم وهدى تكون نهاية سعيه إلى نتيجة صحيحة، تفيد الفرد نفسه ومجتمعه كلّه. في حين أنّ المرء الذي يقوم بعمل بغير علم ودراية به فإنّه ((يفسد أكثر مما يصلح))، وفي هذا ضياع للجهد والوقت، وبذا ضياع الفرصة للبناء والإصلاح.

وفي قوله عليه السلام: **((من أطاع هواه أعطى عدوّه مناه))**.

استعمل الامام عليه السلام أسلوب الشرط، لإدراك الغاية التي يسعى إليها، وهي بناء شخصية الإنسان السوية، وبناء المجتمع السليم، فضلا عن تقوية علاقة العبد بربّه، إذ إنّ إطاعة الهوى والانقياد إلى شهوات النفس وميولها من دون تريث وتأمّل في البداية والنتيجة يضعف الشخص والمجتمع، وبذا تتحقّق للعدو أمانيه، فضلا عن أنّ هذه الإطاعة من شأنها أن تبعد العبد عن ربّه، وبذلك يسقط الفرد اجتماعيا وروحيّا، وفي هذا ((أعظم سرور للأعداء)).

وهذا البناء الروحي، وتقوية علاقة المرء بربّه نلحظه في قوله عليه السلام: **((من استفاد أخا في الله فقد استفاد بيتا في الجنة))**.

الذي استثمر، فيه، أسلوب الشرط لتحقيق هذا المقصد، إذ نجد جزاء من اتخذ أخا في الله فإنّه يحظى بأفضل النعم. فالأخ في الله يستفاد منه في التوجيه نحو الخير والبعد عن الشرّ، ويقرّب إلى الله تعالى، وبذلك ينال خير الدنيا: حياة هادئة هانئة، وخير الآخرة: رضا الله (بيتا في الجنّة).

وفي قوله عليه السلام: **((من أحبّ البقاء فليعدّ للمصائب قلبا صبورا))**.

يعالج عليه السلام قضية ميل الإنسان إلى البقاء، وحبّه لطول العمر، والخوف من الموت والفناء، إلى هذا النموذج من البشر يوجّه تنبيهه، ويرشده إلى سلاح يتسلّح به إن أراد الخلود وطول البقاء في الحياة، وهو (الصبر)، وألّا يجزع من المصائب والأحداث التي تهزّ

كيانه، وتهدّد بقاءه، إذ ((إنّ الجزع يقضي على الإنسان، ويعرّضه للفناء والاسقام))، وفي هذا تعطيل لعضو في المجتمع يراد منه أن يكون عضوا فاعلا لبناء ومجتمعه.

وتوكيد الامام عليه السلام على هذا السلاح (الصبر) جاء بأسلوب الشرط، الذي يرسم في ذهن المتلقي العمل وجزاءه، فيتجسّد أمامه حال من تسلّح بسلاح (الصبر)، وما يجنيه بصبره، وقوة صموده، وحال من لا يملك هذا السلاح، أو من ألقى هذا السلاح، وتخلّى عنه.

فالأول يحصد بهذا السلاح الثمار الجيدة، التي تتمثّل بقوة الشخصية، ويجنّب نفسه الاسقام الجسدية والآلام النفسية. أما الثاني فإنّه لا يحصد، بتخليه عن سلاح الصبر، غير الأوجاع والاسقام، وفي هذا ذهاب لمتع الحياة، وحرمان من تذوّق خيرها وجمالها.

فكأنّ الامام عليه السلام وضع أمام المتلقي صورتين: صورة من تسلّح بسلاح (الصبر)، وما يجنيه منه، وهي صورة واضحة زاهية، وصورة من لم يتسلّح بهذا السلاح، وهي صورة تلوّنت ملامحها بالأوجاع والاسقام.

وبذا يضع الامام عليه السلام المتلقي أمام هاتين الصورتين ليختار منهما ما فيه خير نفسه وخير مجتمعه، وبذا يكون عضوا مفيدا، أو يختار منهما ما لا خير فيه لنفسه ومجتمعه، وبذا يكون عضوا غير فاعل في مجتمعه.

وقد أكثر الامام عليه السلام من استعمال أسلوب الشرط في حكمه وأمثاله، التي اخترناها موضوعا للبحث. ويبدو لي أنّ هذا الإكثار منها راجع إلى أنّ هذا الأسلوب يشرك المتلقي في اتخاذ القرار، واختيار الطريق المناسب لتركيبة نفسه، ومدى ثقافته وإدراكه.

وهذا الأمر نلحظه، أيضا، واضحا بيّنا في قوله: **((من أمّل فاجرا كان أدنى عقوبته الحرمان))**.

وفيه، كما في الأقوال السابقة التي صيغت بأسلوب الشرط، صورتان، على المرء أن يختار، ويعي أنّ جزاءه موقوف على هذا الاختيار، فإذا اختار، كما في هذا القول، أن يأمل فاجرا فإنّه يعاقب بالحرمان، وعدم قضاء حاجته. أما إذا اختار الصورة الأخرى(الافتراضية)، أو المفهوم من صيغة أسلوب الشرط، وذلك بأن يؤمل مؤمنا صالحا فإنّ حوائجه تقضى، وتقرّ عينه لذلك، والذي وضع ثقته بالله تعالى وأمّله فإنّه يهديه إلى ما

يحقّق له السعادة في الدنيا، والمغفرة والرضوان والخير في الآخرة.

واستثمار قدرة أسلوب الشرط في تقديم المضامين والتأثير في المتلقي نجده في قوله عليه السلام: **((من كثر همّه سقم جسده))**.

وفيه ما ينمّ عن أنّه عليه السلام يحذر من الهمّ وكتمانه، لم يترتب على ذلك من تدهور في الصحة، وحلول السقم في الجسد، لذ على الفرد، كم يفهم من قول الامام عليه السلام، ألّا يحبس همّه في نفسه، بل عليه أن يبوح للآخرين همومه تنفيسا لها، وإبعادا، بناء على ما جاء في قول الامام عليه السلام، للسقم في الجسد.

وفي هذه الحكمة وعظ وإرشاد إلى أنّ على الفرد، احتفاظا بقدراته الجسدية والعقلية، ألّا يخضع لهمومه، ويتركها تسيطر علي نفسه، وهذا الإرشاد يهدف إلى تربية النفس، وبعث القوة فيها على تحمل الهموم، وعدم الخضوع لها، وجعلها تنخر الجسد، وتذهب بقوى القلب والعقل، وبذلك يصيب الشلل عضوا اجتماعيّا يراد به أن يبني المجتمع، ويسهم في بقائه قويا، وهذه الغاية، كما سنرى، أراد الامام عليه السلام أن يوصلها إلى المتلقي بأسلوب الشرط، الذي من شأنه أن يدفع المتلقي إلى أن يعيد النظر في حاله، إن كان خاضعا لهمومه وأحزانه، ويلتفت إلى ما ألقي على عاتقه من واجبات في مجتمعه.

ومراعاة العلاقات الاجتماعية السليمة، والدعوة إلى سيادة الودّ بين أفراد المجتمع الإسلامي. ومراعاة مشاعر أبناء المجتمع نلحظه في قوله عليه السلام: **((من وعظ أخيه سرّا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه))**.

الذي يؤكّد على مراعاة مشاعر أبناء المجتمع، والحيلولة دون جرح مشاعر الآخرين.

ففي القول حثّ على اتباع السلوك الصحيح في الوعظ والإرشاد، وهو أسلوب فيه مراعاة خواطر الآخرين، إذ إنّ موعظة الأخ والصديق إذا كان سرّا فإنّها تنمّ عن الإخلاص والصدق في الموعظة، وإذا كانت علانية فإنّها لا تخلو من التشهير[٤٣].

ففي هذه الحكمة تمييز بين سلوكين: سلوك يراعي مشاعر الآخرين، ويصل إلى ما يريد عن طريق الوعظ سرّا، وسلوك لا يراعي مشاعر الآخرين، فلا يصل إلى هدفه، بل يجعل الآخر ينفر منه لما يسببه له من تشهير وإحراج.

وفي ذلك تربية لأفراد المجتمع وتوجيه للحرص على الالتزام بما ينفع المجتمع، ويقوي الروابط بين أفراده، ويحرص على تجنّب ما يضعف هذه الروابط.

وفي قوله عليه السلام: **((من انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة، فقد عرّض نفسه للهلكة والعاقبة المتعبة))**.

دعوة إلى التثبّت والاطمئنان إلى الشيء قبل الاتيان به، فإنّه يجنّب نفسه الوقوع في المزالق والخسران، إذ إنّ من يطمئن إلى شيء، ويثق به قبل أن يختبره ويفحصه فإنّه، من الطبيعي، قد عرّض نفسه إلى الهلكة والخسران.

وهذه الدعوة جاءت بأسلوب الشرط، الذي استثمر الامام عليه السلام إمكانيته في حثّ المتلقي على التفكير للربط بين الشرط والجزاء، وهذا التفكير من شأنه أن يجعل الفكرة أو الرأي الذي يطرح يتمكّن من ذهن المتلقي ونفسه، ما يجعل ذلك مؤثّرا على سلوكه وتعامله مع الآخرين.

والملاحظ أنّ أفعال الشرط في حكم الامام عليه السلام وأمثاله جاءت أفعالا ماضية دالة على الاستقبال، ((وقد ذهب النحاة إلى أنّ القصد من مجيء الشرط ماضيا، وإن كان معناه الاستقبال، هو إنزال غير المتيقّن منزلة المتيقّن، وغير الواقع منزلة الواقع))[٤٤].

ومن الأساليب التي تلحظ أنّ الامام الجواد عليه السلام استثمرها لإيصال فكره وتوجيهاته إلى المتلقين أسلوب القصر، لما لهذا الأسلوب من أثر يبدو في جعل المتلقي يعيش في أجواء يمليه عليه الجزء الأول من أسلوب القصر، وهو الجملة الواقعة بعد (النفي)، ما يجعله في حالة نفسية متأثرة بمضمونه، ولكن سرعان ما يأتي الجزء الثاني الواقع بعد (الاستثناء)، ليخرجه من هذه الأجواء إلى الاستقرار النفسي والفكري، لتتأكّد، عنده، الفكرة التي أراد المنشئ تثبيتها في ذهنه.

وهذه الغاية، وأعني بها تثبيت الفكرة في ذهن المتلقي بأسلوب القصر، نلحظها في قوله عليه السلام: **((ما استوى رجلان في حسب ودين إلّا كان أفضلهما عند الله آدابهما))**.

إذ نرى أنّ الامام عليه السلام أراد أن يثبّت في ذهن المتلقي أنّ الميزة، التي تميّز المرء هي الآداب، وأنّها من موجبات القرب إلى الله تعالى، كما جعلت من صميم الآداب قراءة

القرآن الكريم بعيدا عن اللحن، الذي يوجب كثرة تشويه المعنى وتحريفه[٤٥]. وهذا التميّز يكون، كما يقول الامام عليه السلام: **((بقراءة القرآن كما أنزل، ودعائه الله من حيث لا يلحن، فإنّ الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله))**.

فالجزء الأول الذي أراد الامام عليه السلام أن يثبّته في ذهن المتلقي هو الجزء الواقع بعد أداة الاستثناء الملغاة بوجود النفي (ما): **((كان أفضلهما عند الله آدابهما))**، لينقله من استواء الرجلين في حسب ودين إلى الفكرة التي يريد الامام عليه السلام أن يثبّتها في ذهن متلقيه، وهي تثبيت المرجّح من بينهما، وهذا الترجيح هو الذي يحقّق الهدف (تثبيت الفكرة في ذهن المتلقي).

وهذا الانتقال من الأجواء التي يفرضها الجزء الأول من أسلوب القصر، وهي أجواء تجعل ذهن المتلقي غير مستقرّ، فهو منتظر ما سيكون بعد (إلّا) الاستثنائية، فإذا جاءته استقرّ وهدأ اضطرابه، وهذا ما نلحظه في قوله عليه السلام: **((ما شكر الله أحد على نعمة أنعمها عليه إلّا استوجب بذلك المزيد قبل أن يظهر على لسانه)**.

فالمتلقي لهذا القول، عندما يسمع الجزء الأول منه: ((ما شكر الله أحد على نعمة أنعمها عليه))، ينتظر متشوّقا ماذا بعد هذا الجزء، وهذا الانتظار والتشوّق يعدّ الخطوة الأولى نحو ترسيخ الفكرة في ذهنه، إذ إنّه يكون في حالة تعكس توقعه لما ستكون عليه النتيجة، وبهذا الجمع بين جزأي القول يدرك الفكرة كاملة، وهي أنّ الله تعالى بيده الخير والحرمان، قد وعد من شكره بالمزيد، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٤٦]، وهو يعطي المزيد فيما إذا نوى العبد الشكر قبل أن يظهر على لسانه.

ومن الظواهر، التي تشخّص في حكم الامام عليه السلام وأمثاله وجود (فن الطباق)، الذي يعني، كما يرى البلاغيون، الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، وهو مقابلة الشيء بضدّه[٤٧]، بشكل كبير، مما زاد في جمال هذه الحكم والأمثال، إذ ((إنّ الجمع بين الأمور المتضادة يكسو الكلام جمالا، ويزيده بهاء ورونقا، فالضدّ، كما قالوا، يظهر حسنه الضدّ، ولكنّ وظيفة الطباق لا تقف عند هذا الزخرف وتلك الزينة الشكلية، بل تتعدّاه إلى غايات أسمى، فلا بدّ من أن يكون هناك معنى لطيف ومغزى دقيق وراء جمع الضدّين في إطار واحد، وإلّا كان هذا الجمع عبثا وضربا من الهذيان))[٤٨]، وذلك أنّ الطباق ((أسلوب يفيد

المعنى من نقيضه إظهارا للخطأ الذي يتوهّم صوابا، وللصواب المكتوم، الذي يغفل عنه، ويحلّ نقيضه محلّه))[٤٩]، مما يترك أثرا في ذهن المتلقي ووجدانه، ((ويتجلّى هذا التأثير في أنّه بجمعه بين الأضداد يخلق صورا ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه، فيتبيّن ما هو حسن منها، ويفصله عن ضدّه. ومن هنا فإنّ هذا الفن البديعي يستوي، بحدّ ذاته، معرضا للمعاني الذهنية والنفسية والعقلية المتنافرة، فتترك في الشعور آثارا عميقة بأسلوبها الموازن المقارن))[٥٠].

وهذا ما يمكن أن نلمسه في حكم الامام الجواد عليه السلام وأمثاله، التي قصد بها أن يوصل المعاني والأفكار إلى المتلقي، وتثبيتها في ذهنه، إذ إنّ الصور المتعاكسة، التي يخلقها الجمع بين الأضداد، والموازنة بينها يؤدّي إلى تثبيت ما هو نافع للمتلقي في دنياه وآخرته.

فلو تأمّلنا قول الامام عليه السلام: **((يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم))**.

لوجدنا أنّه عليه السلام استثمر إمكانية (فن الطباق) في خلق صور ذهنية ونفسية متعاكسة، ليقوده، بعد أن يقارن ويوازن بين هذه الصور، إلى الإدراك واليقين بأنّ الظلم والجور والاعتداء على الآخرين أمر مكروه وعواقبه وخيمة على الفرد والمجتمع معا.

وبذا يكون الامام عليه السلام قد طهّر النفوس من هذا المرض الفتّاك، الذي يفتك بكيان المجتمع، ويحوّله إلى مجتمع حيواني يأكل القويّ فيه الضعيف، ويسلب منه نعمة الاطمئنان والأمان، وبذا يشلّ حركة أفراد المجتمع، ويحدّ من فاعليتهم. الأمر الذي يعطّل المجتمع، ويحول بينه وبين التطوّر والتغيّر نحو الأحسن. فنبذ الظلم، وهو من أوليات فكر الامام عليه السلام، بجعل المجتمع قويّا متماسكا، وهو ما سعى إليه الامام عليه السلام.

وقد تحدّث القرآن الكريم عن الظلم والظالمين، وسعى إلى تبرئة المجتمع من هذا المرض الفتّاك، الذي ينخر في جسده، ويحرمه الحياة السعيدة المستقرّة، وقد جعل العذاب الأليم جزاء الظالمين. قال تعالى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾[٥١]. وقال تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[٥٢].

وقد طابق الامام عليه السلام، في قوله، بين لفظ (العدل) و(الجور)، وبين لفظ (الظالم)

و(المظلوم). وقد جمع الامام عليه السلام، في هذا الطباق، بين الإيضاح والجمال الفني.

فكلّ لفظة من هذه اللفاظ المتضادة تحمل صورة (مضمونا)، تترك آثارها في ذهن المتلقي وفي وجدانه، فهو، عندما تترك أثرها في ذهنه، يتخذ منها موقفا.

فالصورة التي تشكّل ملامحها لفظة (العدل)، تختلف عن الصورة التي تشكّل ملامحها لفظة (الجور).

الصورة الأولى تبعث في نفسه الشعور بالراحة والاطمئنان والأمل في الحياة، في حين تبعث الصورة الثانية في نفسه الشعور بالقلق وعدم الراحة، فهو يقارن بين الصورتين، وتختار نفسه الصورة التي تحمل إليها مشاعر الاطمئنان، وبذلك يستقرّ في نفسه حبّ (العدل)، والنفور من نقيضه (الجور).

وكذا الحال مع اللفظين المتضادين (الظالم) و(المظلوم)، وما تحملان من مضامين، تشكّل ملامح صورتين: إحداهما تشعر المتلقي بالنفور منها (الظالم)، وثانيهما تبعث في نفسه مشاعر الراحة والتعاطف (المظلوم)، وتدفعه إلى العمل من أجل الدفاع عن المظلوم، الذي ليس بين دعوته وبين الله حاجز. فالله لا بدّ من أن ينتقم من الظالم إن عاجلا أو عاجلا، وإنّ يوم العدل والقصاص الذي يمرّ عليه يكون شبيها في شدّته وقسوته باليوم الذي كان على المظلوم(٥٣).

وفي قوله عليه السلام: **((من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح))**.

نلحظ أنّه عليه السلام قابل بين (يفسد) و(يصلح)، فهما يوحيان إلى المتلقي صورتين: (صورة الإصلاح) و(صورة الإفساد)، ولما كانت غاية هذه الحكمة هو تصوير ضرورة التسلح بسلاح العلم والمعرفة، وتأكيد مبادئ الإسلام الداعي إلى طلب العلم من المهد إلى اللحد، جيء بهذا التقابل، ليمارس المتلقي دوره في المقارنة والموازنة بين الصورتين: (صورة الإصلاح)، و(صورة الإفساد)، ومن الطبيعي، في وضع المتلقي السويّ، أن يختار صورة الإصلاح، فتحبّب إليه هذه الصورة محبّة العلم، الذي يجعله مصلحا، ويبعد عنه الصورة، التي تجعل منه مفسدا.

وإصلاحا لعلاقة النفس البشرية بالله تعالى جاء نهيه عليه السلام، في قوله: **((لا تكن وليّا لله**

في العلانية عدوّا له في السرّ)).

إذ ورد فيه طباق بين لفظة (العلانية) و(السرّ)، لتحمل كلّ لفظة صورة إلى ذهن المتلقي: صورة تشكّل ملامحها العلاقة السليمة للعبد بربّه، صورة الصدق في التعامل بربّه، وصورة مناقضة لها. والذي يعين المتلقي على اختيار أيّهما أصلح له هو نهي الامام عليه السلام: (لا تكن)، وهو عليه السلام، بذلك، يوجّه المتلقي إلى الطريق الصحيح، الذي رسمه الإسلام الحنيف للعباد، ويبعده عن الطريق المناقض، الذي يجعل من يسلكه، في علاقته بربّه، كاذبا منافقا.

فقول الامام عليه السلام فيه تهذيب للنفس، وإعادتها إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها، والحيلولة بينها وبين ما يشوب هذه الفطرة (النفاق). فالذي يتولى الله تعالى ويؤمن به إنّما يكون صادقا فيما إذا خاف الله في علانيته وسرّه، أما إذا تولّاه أمام الناس، وعصاه سرّا، فإنّه لم يكن في إيمانه صادقا، وإنّما كان كاذبا ومنافقا.

وفي هذا الإطار، إطار إصلاح علاقة العبد بالله تعالى، تكون حكمة الامام عليه السلام: **((لا تعادينّ أحدا حتى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى، فإن كان محسنا لم يسلمه إليك، وإن كان مسيئا فإنّ علمك به يكفيكه فلا تعاديه)).**

إذ نجد فيه مقابلة بين لفظة (محسنا)، ولفظة (مسيئا)، وكلّ لفظة، منهما، تحمل صورة ملامحها تتكوّن من كلّ ما يجعل الإنسان محسنا، وصورة ملامحها تتكوّن من كلّ ما يجعل الإنسان (مسيئا).

ومن الطبيعي جدّا أنّ صورة المحسن أحبّ إلى النفس البشرية السوية من صورة المسيء. من أجل ذلك نهى الامام عليه السلام عن أن يعادي المتلقي أحدا، حتى يعرف ((الذي بينه وبين الله تعالى))، وهذا يعدّ المقياس والميزان لتحديد علاقاتنا مع الآخرين، إذ إنّ المحسن يحبّه الله وهو معه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥٥]، لذا فهو لا يسلمه إلى من يعاديه، في حين إن كان مسيئا فعلمنا بإساءته تكفينا عن عداوته، وبذلك جاء تحذير الامام عليه السلام عن عداوة الناس، وأنّ المسلم ينبغي أن يغرس في نفسه الحبّ والولاء لأخيه المسلم، وأمر بالفحص عمن يعاديه فإن كانت علاقته قوية مع الله تعالى فإنّه لا يسلمه لنا، وإن كان مسيئا فعلمنا بإساءته يكفينا عن عداوته[٥٦].

ولأجل أن ينقّي المام عليه السلام النفس البشرية، ويجعلها خالدة بأعمالها الحسنة، يرشدنا الامام عليه السلام في قوله: **((موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبرّ أكثر من حياته بالعمر))**.

إلى أنّ اقتراف الذنوب والجرائم تجعله ميتا بين الأحياء، ومن يعمل البرّ ويسدي الخير لأمته وبلاده، فهو حيّ ومخلّد ذكره وإن فارق الحياة.

ومن أجل أن يجسّد الامام عليه السلام صورة الذي يعمل الخير والبرّ لأمته وبلاده، وصورة الذي يقترف الذنوب والجرائم، استعمل (فن الطباق)، فجعل الأول حيّا، وإن مات، وجعل الثاني ميّتا وإن كان حيّا بين الناس.

وبهذا الفن (فن الطباق) حبّب الامام عليه السلام صورة عامل الخير والبرّ إلى نفس المتلقي، فيلتزم بها، ويكرّه عليه السلام صورة مقترف الذنوب والجرائم، لينفر منها، وبذا تتحسّن صورة المجتمع. والسعي إلى الحصول على الذكر الحسن في المجتمع سعى إليه الأنبياء والمرسلون، قال تعالى على لسان النبيّ إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾(٥٧).

ومن أقواله عليه السلام التي استثمر فيها (فن الطباق)، وسعى من وراء ذلك إلى أن يحرص الإنسان على الذكر الحسن، الذي يخلده في مجتمعه بعد موته، قوله عليه السلام: **((من جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك))**.

إذ إنّه عليه السلام طابق بين لفظة (أعطى) ولفظة (أخذ)، اللتين عكستا صورتين متعاكستين: صورة المعطي، وما توحيه إلى المتلقي، وصورة الآخذ وما توحيه إلى المتلقي، (اليد العليا خير من اليد السفلى)، فاليد التي تعطي خير من اليد التي تأخذ. ففي القول دعوة إلى تقديم العطاء، ودعوة إلى شكر المعطي، وفيها تشجيع على شكر العطاء، وتشجيع على شكر المعطي، ذلك أنّ مجازاة المحسن بالشكر، وإذاعة فضائله ومعروفه، وهي في الحقيقة أكثر من عطائه، لأنّها توجب له الذكر الحسن، الذي هو أعظم مكسب للإنسان.

ومن أجل تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم، وحفظ كرامة الإنسان فيه، والعمل على سيادة الأساليب السليمة والصحيحة في الوعظ والإرشاد، قال الامام عليه السلام مستثمرا (فن الطباق): **((من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه))**.

إذ طابق عليه السلام بين لفظة (سرّا) ولفظة (علانية)، وبين لفظة (زانه) ولفظة (شانه)، لتوحي كلّ منها بصورة تعاكس الصورة التي توحي بها اللفظة الثانية.

فالصورة التي توحي بها لفظة (سرّا) تعطي ملامحها طريقة الوعظ والإرشاد سرّا، إذ إنّها، كما يفهم منها، لا تؤدّي إلى إيذاء الآخر، إذ إنّ بيان الخطأ الذي وقع فيه الإنسان جاء من دون أن يعلم به غيرهما إلّا الله تعالى، وفي ذلك يكون الواعظ قد (زانه)، وبذلك تكون الصورة الثانية الناتجة عن حدوث الصورة الأولى، فيتحقق بذلك أمران: أخذ الموعظة وأخذ الرضا والقبول. في حين أنّ الصورة التي توحي بها لفظة (علانية)، وهذا ما حذّر منه الامام عليه السلام صورة بيان خطأ الآخرين يوعظ بصوة عال بين الناس، والصورة الأخرى الناتجة عن هذه الصورة، هي الصورة التي توحي بها عبارة (شانه)، ما يدعو الإنسان، بسبب اعتداده بنفسه وشعوره بتجاوز الآخر عليه يكشف أخطاءه، إلى أن ينفّر من ذلك، وهذا أسلوب في الوعظ غير مقبول شرعا، وهو ما نبّه عنه الامام عليه السلام بقوله هذا. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٥٨). فموعظة الأخ والصديق إذا كان سرّا فإنّها تنمّ عن الإخلاص والصدق في الموعظة، وإذا كانت علانية فإنّها لا تخلو من التشهير به.

وبذا يكون الامام عليه السلام قد أدّى وظيفته الفكرية عارضا هذا الأداء بأسلوب فني جميل يتمثّل بـ (فن الطباق)، الذي يفرض على المتلقي المقارنة بين صورتين، واختيار أفضلهما.

وقد عالج الامام عليه السلام في قوله: **((من شهد أمرا فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده))**.

خفايا النفس البشرية، والمواقف التي تتخذها مما سمعت أو شهدت، وقد استعمل الامام عليه السلام (فن لطباق)، لبيان هذا الأمر، وتجسيده أمام المتلقي، إذ طابق، في الجزء الأول من القول، بين عبارة (شهد)، وعبارة (غاب)، وفي الجزء الثاني منه طابق بين عبارة (كره) وعبارة (رضي).

ففي الجزء الأول من القول اجتمعت العبارات (شهد) و(كره) و(غاب)، لتجسّد مشهدا أمام المتلقي، ليسهل عليه إدراك تفاصيله وما يترتب عليها.

صورة (الشاهد الكاره) وما تفضي إليه صورة (الغائب)، وما يترتب على ذلك من

حكم شرعي (لا يكتب عليه إثم)، إن كان فيه إثم، وفي الجزء الثاني صورة (الغائب الراضي)، وما تفضي إليه صورة (الشاهد)، وما يترتب على ذلك من حكم شرعي: (يكتب له خيره أو شرّه)(٥٩).

وفي إرشاده عليه السلام للإنسان المسلم دعوته إلى أن يحيط علما بالأمر، الذي يريد أن يعالجه، ليعرف مداخل أمره (موارده)، ليتمكّن من الخروج منه بيسر وسلامة مستثمرا (فن الطباق)، الذي يؤدي، بدلالته على الصور المتعاكسة، هذه الوظيفة، وهذا ما نلحظه في قوله عليه السلام: **((من لم يعرف الموارد أعيته المصادر))**.

إذ ورد، فيه، مطابقة لفظة (موارد) ولفظة (مصادر)، وهما يوحيان بصورتين متعاكستين، وهذا التعاكس يدعو المتلقي إلى ان يتأمّل في الصورتين، ويوازن بينهما، ما يفضي به إلى أن يدرك المطلوب من ذلك، وهو معرفة (الموارد) قبل الدخول في أمر ما، ليتسنى له معرفة (المصادر)، التي تعينه على الخروج منها بسلام ويسر.

وقد راعى الامام عليه السلام، في أقواله، الجانب الإيقاعي (الإيقاع الفنّي) في حكمه وأمثاله، ما جعلها مما ((يلذ الآذان حين تستمع إليه، والأفواه حين تنطق به، والقلوب حين تصغي إليه))(٦٠).

ومن الفنون، التي يتحقّق، فيها، عنصر الإيقاع، في هذه الحكم والأمثال، (فن السجع)، وهو، كما ورد في معاجم اللغة، الكلام المقفّى، أو موالاة الكلام على رويّ واحد(٦١)، وهو اصطلاحا: ((تواطئ الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد، أو على حرفين متقاربين، أو حروف متقاربة))(٦٢).

وهو فن يجعل المتلقي يعيش أجواء النصّ الذي يسمع، ما يرسخ المضامين في ذهنه، ويترك أثرا بالغا في وجدانه، ما يدعوه إلى الإيمان بما يسمع، ويسعى إلى اتخاذه منهاجا في حياته.

وهذا ما تحقّق في حكم الامام عليه السلام وأمثاله، إذ نجد أنّ السجع، فيها، يجعل المتلقي يعيش هذه الحالة من الاستمرار في الوقوع تحت هذا التأثير، من ذلك قوله عليه السلام: **((ما هدم الدين مثل البدع، ولا أفسد الرجال مثل الطمع، وبالراعي تصلح الرعيّة، وبالدعاء تصرف البليّة))**.

فإننا نلحظ، السجع في قوله: **((ما هدم الدين مثل البدع، ولا أفسد الرجال مثل الطمع))، وفي قوله: ((وبالراعي تصلح الرعية، وبالدعاء تصرف البلية))**.

والملاحظ، في هذا السجع، أننا نجد أنّ الألفاظ المسجوعة دالة على غير المعنى الذي دلّت عليه أختها، فإذا كثرت البدع التي تلصق بالدين فإنّها تشوّه واقعه، وتلحق به الخسائر لأرصدته الروحية والفكرية، كما يقول الشيخ القرشي (رحمه الله تعالى) في موسوعته، والرجل تفسده كثرة الأطماع، التي تقضي على أصالته، وتجرّه إلى ميادين سحيقة من مجاهل هذه الحياة.

وكذا الحال في لقسم الثاني من قول الامام عليه السلام، فكلّ عبارة مسجوعة تدل على غير المعنى الذي دلّت عليه قرينتها، فصلاح الرعية موكول إلى صلاح الراعي، إذ إنّ صلاح الراعي مما يوجب صلاح الرعية، وتطورهم وتنميتهم الفكرية والاجتماعية، في حين آخر هذه العبارة يشير إلى أنّ البلية تصرف بالدعاء، إذ إنّ الدعاء إلى الله تعالى من موجبات صرف البلاء ودفع القضاء.

وهذا يعني أنّ الألفاظ، في هذا القول المسجوع، تابعة للمعاني، وليس المعاني تابعة للألفاظ إلّا إذا كان كظاهر مموه على باطن مشوّه، وهذا ما ذكره ابن الأثير (ت٦٣٧هـ)[٦٣]. وقد تحقّق لذلك بقاء المتلقي في الأجواء التي وضعها فيها النص المسجوع، فهو ما أن يخرج من أجواء جزئه الأول حتى تأسره أجواء جزئه الثاني، وهكذا، فضلا عن تحقّق التواصل المستمر بين المتكلّم والموضوع والمخاطب، إذ إنّ ((الإيقاع الذي يوحي بالموسيقى المنبعثة من داخل الصياغة، فليس هو نغمات مكرّرة حسب، بل إنّه تصوير لجو المعنى طلبا للتواصل المستمر بين المتكلّم والموضوع والمخاطب، ويظهر بذلك دقّة وقدرة القائل، إذ إنّه بهذا الإيقاع يسبغ جمالا أخّاذا على العبارة[٦٤]، يضاف إلى ذلك أنّ توظيف الموسيقى في النصّ يكون لإبراز بعض النواحي الموضوعية والنفسية، التي من شأنها تقريب المعنى للمتلقي، لأنّ الألحان لها القدرة على إثارة انفعالات بعينها عند المستمع[٦٥].

والملاحظ، أيضا في هذا القول، أنّ مقاطعه المسجوعة كانت معتدلة، والاعتدال في مقاطع الكلام، كما يقولون، هو الأصل في السجع[٦٦]. وهذا ما مكّنه من أداء وظيفته، إذ إنّ مقاطع الكلام إذا كانت معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان، فضلا على ذلك أنّ

حبّ الناس للتأليف المتّفق إنّما يأتي طبعا لا تطبّعا[٦٧].

وهذا الاعتدال في مقاطع الكلام نلحظه بوضوح في قوله عليه السلام: **((الدين عزّ، والعلم كنز، والصمت نور))**.

إذ نجد، فيه، تساوي الفقرات مع عدد الكلمات ((الدين عزّ)) و ((العلم كنز)) ما يجعل الإيقاع، الذي هو نوع من التنظيم، متوافرا فيه، محقّقا ((الانسجام كونه عبارة عن تكرار ضربة أو مجموعة من الضربات بشكل منظّم على نحو تتوقّعها معه الأذن كلما آن أوانها))[٦٨]، إذ إنّ الإيقاع يعتمد ((كما يعتمد الوزن الذي هو صورته الخاصة، على التكرار والتوقّع، فآثار الإيقاع والوزن تنبع من توقّعنا سواء كان ما نتوقّع حدوثه يحدث بالفعل أو لا يحدث))[٦٩].

وهذا التكرار المنظّم يحدث تأثيرا في نفس المتلقي، حين ((يجعل الكلام ذا موقع تهشّ إليه النفوس، ويؤثر في الوجدان))[٧٠].

وهذا ما يشعر به قارئ هذا القول، فإنّ الموسيقى (الإيقاع) المتوافر فيه، وقد ((منح النصّ الأدبي، مهما كان نوعه، القدرة على إمالة أسماع المخاطبين، فيحدث فيهم الرغبة إلى الاستماع واللذة فيه، لأنّ النفس مجبولة على حبّ الأنغام، متذوّقة لها[٧١].

وقد أدرك العرب أهمية السجع في الكلام المنثور، كونه يؤدّي غرضين: الحفظ والمتعة، تولّدها المقاطع الصوتية المتشابهة الفواصل[٧٢].

ومن أقواله عليه السلام، التي صيغت بعبارات مسجوعة، قوله: **((من أطاع هواه أعطى عدوّه مناه))**.

فإنّنا نلحظ أنّ متلقي، وقد أعانه على ذلك أسلوب الشرط، يجد نفسه متأثّرا بهذا الإيقاع، الذي أحدثه السجع في القول، مأسورا له، وهو ينتظر جواب الشرط، وهو تحقّق للعدو أعظم أمانيه، إذ إنّ إطاعة الهوى تسقط المرء اجتماعيا، وهذا أعظم سرور الأعداء.

وبهذا ينبّه الامام عليه السلام المرء، ويحذّره من إطاعة هوى النفس حفاظا على مكانته الاجتماعية، وعلى كيان المجتمع السليم.

وهذا الإيقاع الآسر توافر في قوله عليه السلام: **((الحوائج تطلب بالرجاء، وهي تنزل بالقضاء))**.

إذ إنّ المرء، عندما يقرأ هذا القول، لا يسعه، بسبب ما توافر فيه من إيقاع، إلّا أن يتأمّل هذا القول، ويطيل النظر فيه، ما يجعل الغاية من هذا القول متحقّقة، وهي أنّ حوائج الناس إنّما تطلب بالرجاء من الله تعالى، وهي تنزل بقضائه، وبهذا يكون الامام عليه السلام قد ربط العبد بربّه، بعد أثار في نفسه الميل إلى البقاء في أجواء النص بسبب الإيقاع الذي أوجده السجع فيه.

وهذه التربية الروحية، ورصد علاقة المرء بربّه، وربط تصرفات الكائن الأرضي بالسماء، نلحظه في قوله عليه السلام المسجوع: **((إذا نزل القضاء ضاق الفضاء))**.

ليعرف هذا الكائن، تحت تأثير السجع الآسر، أنّ قضاء الله تعالى إذا نزل به، واختاره تعالى له فإنّ الفضاء على سعته يضيق به.

ومن هذا الربط الذي أشرنا إليه فيما سبق ما نلحظه في قوله عليه السلام: **((نعمة لا تشكر كسيّئة لا تغفر))**.

إذ نلحظ فيه إسهام (فن السجع) في تحبيب مضمونه إلى نفس المتلقي، ليكون هذا المضمون من الأمور التي تجب مراعاتها، والانتباه إلى أهميتها في المجتمع المسلم، وهي (شكر النعمة)، إذ إنّ عدم شكر النعمة من السيّئات، التي لا تغتفر، لأنّ في ذلك تضييعا للإحسان، الذي يجب أن يشكر، وإضاعة الاحسان، يكون سببا للانصراف عنه، وبذا يتفكك كيان المجتمع، لذا جاء كلامه عليه السلام، الذي صاغه بعبارة مسجوعة، ليجنّب كيان المجتمع من الضعف والتفكك.

وهذه التربية الروحية، وربط الإنسان بالله تعالى، نجدها في قوله عليه السلام: **((الثقة بالله ثمن لك غال، وسلّم إلى كلّ عال))**.

فقد استعمل عليه السلام (فن السجع)، ليرغّب النفس البشرية في مضمونه، إذ إنّ الإيقاع، في هذا القول، كفيل بأن يحقّق ذلك، ويبلّغ المتلقي ما أراده المنشئ، إذ ((إنّ الإيقاع الموسيقي، إذ ينطوي على بعد إبلاغي أصيل، فهو، في الوقت نفسه، يشحن معه مجموع الأحاسيس والانفعالات، التي ترتبط في الداخل من الكائن الفرد))[٧٣]، لتكون حياة الإنسان سامية

رفيعة قائمة على الثقة بالله تعالى، فالحياة ((إنّما تسمو فيما إذا كانت مشفوعة بالثقة بالله تعالى خالق الكون، وواهب الحياة، كما أنّ الثقة به تعالى هي السلّم الذي يبلغ به الإنسان القمم العالية في دنيا الوجود))[٧٤]. وكلّ ذلك كان بسبب التأثير الذي تركه (فن السجع) في نفس المتلقي.

وكما أسهم السجع في إيجاد عنصر الإيقاع، الذي ترك آثارا نفسية وفكرية في المتلقي، والذي جاء في أقوال الامام عليه السلام السابقة، فقد تضافر معه فن آخر في توفير هذا العنصر، والذي أسهم في إبلاغ المتلقي ما يريده المنشئ، وجعله يؤمن به، ويتخذه مبدأ من مبادئ منهاجه في الحياة، وهذا الفن هو (الجناس)، الذي هو، عند البلاغيين، ((تشابه اللفظتين في الأصوات واختلافهما في المعنى))[٧٥].

فالجانب الصوتي هو الركيزة، التي يعتمد عليها الجناس، لأنّه إذا كان جناسا تاما فهو مقطعان صوتيان متفقان في الإيقاع مختلفان في المدلول[٧٦].

وقد ذهب أحد الباحثين إلى عدّ الجناس ضربا من التكرار قائلا: ((إنّ جوهر الجناس أساسا يقوم على الاشتراك اللفظي، فالتجنيس إذن ضرب من ضروب التكرار، ونسلكه فيما يراد بالتكرار من تقوية نغمية لجرس الألفاظ))[٧٧].

وقد نظر الشيخ عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) إلى الجناس بوصفه وسيلة إلى تصوير المعنى، وتمكّنه من العقل تعبيرا وتأثيرا. يقول: ((إنّك لا تستحسن تجانس اللفظتين، إلّا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا))[٧٨]. فهو يرى أنّ الجناس ليس غاية في ذاته، وإنّما وسيلة صوتية إلى تحقيق غاية[٧٩].

وهذا ما نلاحظه في حكم الامام محمد الجواد عليه السلام وأمثاله، إذ جاء فيها الجناس بوصفه وسيلة إلى تصوير المعنى، وتمكّنه من العقل تعبيرا وتأثيرا.

فلو أخذنا قوله عليه السلام: **((إذا نزل القضاء ضاق الفضاء))**.

لوجدنا أنّ التجانس الذي حصل بين (القضاء) و(الفضاء)، وهو جناس يسميه البلاغيون، جناساً ناقصاً[٨٠]، جاء لتقوية المعنى وتصويره، لأنّ لفظة (القضاء) تملي على المرء، لا إراديا، التفكير في الهروب من نزوله وتحاشيه، ولكنّه سرعان ما يدرك أنّ (الفضاء)

ضيّق، ولا يجد فيه مهربا يلجأ إليه، ما يجعل المعنى متمكنا من عقله، مؤثّرا فيه وفي وجدانه، لذا فالجناس، في هذا القول، ليس غاية في نفسه، وإنّما وسيلة صوتية لتحقيق غاية، وهذه الغاية تتمثّل في أنّ قضاء الله تعالى إذا نزل بالإنسان، واختاره الله تعالى إلى جواره فإنّ الفضاء، على سعته، يضيق به، وهذا الشعور والإدراك يتجسّد سلوكا في حياته، بعد أن وفّر (الجناس) لونا من الموسيقى اللفظية، التي أدّت إلى إيصال، وإحداث متعة تجذب المتلقي، وتثير انتباهه، فيتفاعل معها.

وهذا يعني أنّ الامام عليه السلام يدرك أهمية هذا الفن في إيصال المعنى. وفي قدرة البقاء والتواصل، وفي إثارة المتلقي، وإحداث استجابة ما عنده. وهذا ما يؤكّده قوله عليه السلام: **((الثقة بالله ثمن لكلّ غال، وسلّم لكل عال))**.

إذ إننا نجد أنّ التجانس بين لفظة (غال) ولفظة (عال) لم يرد بلا هدف أو غاية، بل جاء ليصوّر المعنى الذي أراده الامام عليه السلام، وتجسيده أمام ناظري المتلقي، ذلك أنّ لفظة (غال) توحي إلى المتلقي بالثمن الذي عليه أن يقدّمه لهذا الغالي، وهو (الثقة بالله تعالى)، وهي لفظة توحي بالعلو والارتقاء، لتأتي، بعد ذلك، لفظة (عال) المجانسة للفظة (غال)، لتؤكّد، بدلالتها على العلو، معنى اللفظة الأولى (غال)، ما يحقّق استجابة المتلقي عقليا ووجدانيا، لأنّ هذا التشابه بالأصوات، الذي أحدث هذه الاستجابة، وفّر جوّا موسيقيا من خلال هذا الإيقاع الناتج عن تكرار وحدات صوتية متشابهة في النصّ.

وهذا التشابه الصوتي ((ساعد في إيجاد استجابة لهذا المؤثّر في نفسية المتلقي تجعله يتفاعل مع دلالة اللفظتين، ويحاول إيجاد وجهة الاتفاق بينهما، وما قصده المنشئ من هذا الإيقاع الجميل القصير، للمقاطع الصوتية المتشابهة، التي استطاعت أن تثير انتباه السامع، وتحدث فيه الرغبة والمتعة، أمور يسعى إليها المثل، ويحاول تأكيدها في نفس المتلقي وإدراكه))[٨١].

وفي قول آخر للإمام عليه السلام: **((الجمال في اللسان، والكمال في العقل))**.

نجد هذه الوظيفة لفن الجناس وأعني بها إثارة انتباه المتلقي، وإحداث الرغبة والمتعة، فضلا عن تأكيد الفكرة أو المضمون في إدراكه وعقله.

فقراءة القول والتأمّل فيه تقود إلى أنّ الامام عليه السلام لم يمل إلى هذا التشابه الصوتي رغبة

فيه، بل ليتّخذ منه وسيلة لإبلاغ المتلقي الفكرة او المضمون الذي أراده، أي جعل هذا التشابه الصوتي بين اللفظتين (الجمال) و(الكمال) وسيلة إلى تصوير المعنى، وتمكّنه من عقل المتلقي تعبيرا وتأثيرا، ليقوده بالتالي إلى أن يجعل المعنى مترجما في سلوكه، فهو لا يكاد يخرج من الجوّ الذي أوحت به لفظة (الجمال)، حتى يستفيق ليجد نفسه في أجواء (الكمال)، الذي أحدثه التشابه الصوتي بين اللفظتين، والذي قارب بين جوهما (جمال اللسان) و(كمال العقل).

من اجل رسم صور للمعاني وتجسيدها أمام المتلقي نلحظ في حكم الامام عليه السلام وأمثاله أنّ الفنون البيانية تكفلت بهذه المهمة، أي مهمة تقديم المعاني للمتلقي مصوّرة مجسّدة، وفي مقدمة هذه الفنون يأتي ألتشبيه، الذي نظر إليه البلاغيون العرب ((بوصفه الأسلوب الذي لا تستطيع البلاغة العربية أن تستغني عنه، ورفعه بعضهم إلى مكانة سامقة معتبرا إيّاه من أشرف أنواع البلاغة، وأنّه ينهض برهانا على مقدرة المنشئ الإبداعية وفطنته))[٨٢]. وهذا الفن مضافا إلى ذلك يؤدي هدفا ومغزى وما يشكّله من صور تبنى عليها ثوابت تفيد المجتمع، وتعمل على توجيه تصرفات الفرد، وربط الذهن بالحسّ[٨٣].

ولا يخفى على المتأمّل في أمثلة التشبيه في الشعر والنثر العربيين ما للتشبيه من ((روعة وجمال، وموقع حسن في البلاغة، وذلك لإخراجه الخفيّ إلى الجليّ، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحا، ويكسبها جمالا وفضلا، ويكسوها شرفا ونبلا))[٨٤].

والتشبيه، بعد ذلك، محاولة جادة لصقل الشكل وتطوير اللفظ، مهمته تقريب المعنى إلى الذهن بتجسيده حيّا، ومن ثمّ فهو ينقل اللفظ من صورة إلى صورة أخرى على النحو الذي يريده المصوّر[٨٥]. يضاف إلى ذلك أنّ التشبيه لم يعد مجرد نقل ما يقع في دائرة الحسّ، وإنّما صار أمرا آخر أقرب ما يكون إلى اللذة والاستمتاع بالصورة، وربما ظهرت جوانب أخرى تجهد لإبراز فيض المشاعر والأحاسيس، أو تعمل على مخاطبة العقول والأفكار[٨٦].

وهو، ((وإن كان عنصرا أساسيا يكسب النصّ روعة واستقامة وتقريب فهم، إلّا أنّه يبدو عنصرا ضروريا لأداء المعنى المراد من جميع الوجوه، لأنّ في التشبيه تمثيلا للصورة، وإثباتا للخواطر، وتلبية لحاجات النفس))[٨٧]، لذا فالتشبيه، على حدّ قول أحد الباحثين، ((نوع من التوسّع في التعبير، يعين الأدباء، ويفتح أمامهم السبل التي تأخذ

بيدهم، ليعبّروا عن أفكارهم، وما تجيش به نفوسهم من المعاني التي لا يكون للغة بما في ألفاظها من دلالات وضعية أن تعبّر عنه، ونضيف هنا أنّ التشبيه من أهم الوسائل التي تساعد على تحقيق هذه الغاية))[٨٨].

وهذه الوظيفة التي يضطلع بها فن التشبيه، والتي تتمثّل في تقريب المعنى إلى الذهن بتجسيده حيّا، وإحداث اللذة والإبداع والاستمتاع العقلي والشعوري، فضلا عن كونه نوعا من أنواع التوسّع في التعبير، نلحظها في حكم الامام عليه السلام وأمثاله، من ذلك قوله: **((إيّاك ومصاحبة الشرّير، فإنّه كالسيف المسلول، يحسن منظره، ويقبح أثره))**.

فالإمام عليه السلام، وهو يحذّر من مصاحبة الشرّير لما يترتب على ذلك من الآثار السيّئة، التي منها الوقوع في المهالك: ((إيّاك ومصاحبة الشرّير))، لم يترك هذا المعنى مجردا، بعيدا عن ذهن المتلقي ووجدانه، بل سخّر قدرة فن التشبيه، لتقريب هذا المعنى إلى ذهن المتلقي بتجسيده حيّا، ليكون هذا التجسيد الطريق المباشر والقصير للتأثير في وجدانه، مختارا لأجل ذلك صورة السيف المسلول، التي لا تغيب عن ذهن المتلقي العربي، ولا يفرغ وجدانه من تأثيرها، إذ يرى حسن منظره ظاهرا، وقبح أثره إيحاء: **((فإنّه كالسيف المسلول يحسن منظره، ويقبح أثره))**.

والامام عليه السلام، في هذه المثل، يستعمل (التشبيه التام) أو (التشبيه المرسل المفصّل)، وهو، كما يرى أحد لباحثين، أول مراتب التشبيه لسلّم المبالغة، التي يتدرّج التشبيه، فيها، نحو ذروة المبالغة[٨٩].

فالتشبيه، في قول الامام عليه السلام، تشبيه توافرت فيه الأركان الأربعة: المشبه (الشرّير)، والمشبّه به (السيف المسلول)، وأداة التشبيه (الكاف)، ووجه الشبه (حسن المنظر، وقبح الأثر).

وفي هذا المثل نلمس صورة حسّية استطاعت أن تنقل للمتلقي (حالة الشرّير) حين شبّهه، باستعمال أداة التشبيه (الكاف)، بـ (السيف المسلول)، وهي صورة من الواقع، الذي يعيشه المتلقي، ويلمسه في كلّ يوم. فالصورة ليست ببعيدة عن واقعه، وقد عمد إلى هذا التشبيه لغرض البالغة في تصوير قبح الأثر، الذي يترتّب على مصاحبة الشرّير، إذ إنّ ((التشبيه لا يعمد إليه إلّا لضرب من المبالغة، فإما أن يكون مدحا أو ذمّا أم إيضاحا، ولا يخرج عن هذه المعاني الثلاثة))[٩٠].

وبهذا التشبيه يكون الامام عليه السلام قد وصل إلى ما يريده من هذا المثل، ففيه تنقية المجتمع من الآثار القبيحة، التي تتركها مصاحبة الشرير، الذي لا يخلّف وراءه سوى كلّ أثر يدمر المجتمع، ويحرمه الأمن والأمان والاستقرار والاطمئنان، والوقت نفسه يرسم الطريق السويّ أمام المتلقي (الفرد المسلم) في اختيار من تفيده صحبته، ويشعره بالأمان، وفي ذلك إصلاح للمجتمع، وتربيته تربية سليمة.

وفي مثل آخر للإمام عليه السلام إسهام في هذا الميدان، إذ نجد أنّ الامام عليه السلام قد سخّر قدرة التشبيه لبلوغ مقاصده، سالكا طريق التعبير الفنّيّ، الذي يدعو المتلقي إلى التأمّل فيه، وادراك مراميه، التي تأخذ بيد المتلقي إلى الاسهام في بناء مجتمعه بناء سليما، قائما على الودّ المتبادل، والثقة العالية تجسيدا لقوله تعالى: ((إنّما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم))[٩١]، وليكون المسلمون جسدا واحدا تجسيدا قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: ((مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمّى والسهر)).

وإسهام الامام عليه السلام في تربية المجتمع تربية سليمة، وبنائه بناء قويّا، نلحظه في قوله: **((نعمة لا تشكر كسيّئة لا تغتفر))**.

فالإمام عليه السلام، في هذا المثل، أراد ن يربط العبد بربّه، وأن يربط أبناء المجتمع بعضهم ببعض. فرباط العبد بربّه يتمثّل، في هذا المثل، بشكر نعم الله تعالى علينا، وقد أشارت الآيات القرآنية الكريمة وجوب شكر نعم الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٩٢]، وقال تعالى على لسان داود عليه السلام: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾[٩٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٩٤].

والتأكيد على شكر النعم، من شأنه، أن يحفظ للمحسنين إحسانهم، وإشعارهم بأنّهم وضعوا إحسانهم في المكان المناسب، وبذلك تشجيع لهم ولغيرهم على الاستمرار في ذلك، وفي الوقت نفسه يحفظ الشاكر حقّ المحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[٩٥]، ما ينمّي مشاعر الودّ بين أفراد المجتمع المتكافل.

وقد استثمر الامام عليه السلام فن التشبيه إيصالا لفكرته، وإيضاحا لها بتعبير جميل راميا به إلى ترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي، وترك أثرا في وجدانه، ليكون ذلك منطلقا له إلى شكر النعم. وهذه الفكرة تقوم على أساس أنّ عدم شكر النعمة من السيّئات التي لا تغتفر، لأنّ في ذلك تضييعا للإحسان، الذي يجب أن يشكر.

فالصورة التشبيهية، في حكم الامام عليه السلام وأمثاله جاءت لتقريب المعاني إلى ذهن المتلقي وتوضيحا، وذلك يدرك هذه المعاني ويفهمها، فتأخذ النصيحة والموعظة، اللتان قدّمتا بهذا القالب الفنيّ الجميل، طريقهما إلى عقله ووجدانه، لتكون، بذلك، كما أراد الامام عليه السلام، جزء من منهجه في الحياة.

ومن الفنون البيانية، التي استثمر قدرتها على التصوير والتجسيد، لإيصال نصائحه وأفكاره (فن الاستعارة)، الذي يعدّ ((من أبرز طرق التعبير غير المباشر القائم على التخييل))[٩٦]، ولما لها من طاقة تعبيرية جميلة عن المعاني وتجسيدها، لتترسخ في ذهن المتلقي، وتترك أثرا في نفسه، فضلا عن استثارة خياله، واختلاب لبّه، ليقنع بما يقال له، ويلقى في روعه. فهي من الوسائل الفنيّة، التي تفتح أمام المنشئ سبل القول، وتتيح له قدرا من التصرّف في التعبير عن المعاني من خلال الألفاظ، وهي مضافا إلى ذلك تفيد شرح المعنى، وتفعل في النفس ما لا تفعله الحقيقة، وتفيد تأكيد المعنى والمبالغة فيه، والإيجاز وتحسين المعنى وإبرازه[٩٧].

وهذا ما يمكن أن نلحظه بوضوح في قوله عليه السلام: **((راكب الشهوات لا تقال عثرته))**.

إذ نجد، فيه، استعارة مكنية، فقد شبّه (الشهوات) بالناقة، أو ما يركب من الحيوانات، وحذف المشبه ب (الناقة)، وذكر لازمة من لوازمه (الركوب) (راكب).

وبهذا الاستعمال، استعمال الاستعارة المكنية، نجد أنّ الامام عليه السلام، استثمر سمة الخيال، التي تتحقّق بهذا النوع من الاستعارة، التي تسمى، أيضا، (الاستعارة التخييلية)، فضلا عن توظيف قدرتها على تجسيد المعنويات، إذ إنّنا عندما نقرأ هذا القول نجد أنّ (الشهوات)، وهي أمر معنوي، قد تجسّدت أمامنا بهيأة (ناقة).

وبتجسيد انقياد الإنسان إلى شهواته، وصيرورته أسيرا لها، فإنّه لا تقال عثرته، ولا

يمنح العذر في ذلك، يكون الامام عليه السلام قد أوصل فكرته وتحذيره بعدم الانقياد إلى الشهوات، لما لذلك من خطر على الفرد والمجتمع معا، فكان ذلك تشخيصا لظاهرة تضرّ بالمجتمع، ودعوة إلى مراجعة النفس، وترويضها على السلوك السويّ.

وفي تنبيه آخر استثمر الامام عليه السلام فنّ الاستعارة، وذلك في قوله: **((من انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرّض نفسه للهلكة والعاقبة المتعبة))**.

ليحذّر من الانقياد إلى الطمأنينة قبل الخبرة، وهذه الاستعارة (استعارة مكنية) (تخييلية)، إذ شبّه الامام عليه السلام (الطمأنينة) بـ (قائد)، وحذف المشبّه به (القائد)، وذكر لازمة من لوازمه (انقاد)، فأوجد، بذلك، صورة استثارت خيال المتلقي، ليعيد تشكيل ملامح هذه الصورة (المعنى)، وهذا ما يجعله راسخا في ذهنه، مؤثّرا في وجدانه، ما يجعله حذرا، فلا يطمئنّ إلى أمر قبل معرفة حقيقته، فيجنّب نفسه مضمون جملة الجزاء (فقد عرّض نفسه للهلكة والعاقبة المتعبة).

فالصورة المبنية على أساس الاستعارة المكنية أظهرت الطمأنينة شخصا يقود، ويتّبع. وبذلك يتحقّق التأثير في ذهن المتلقي، إذ إنّ وظيفة التشخيص ((التأثير في نفس المتلقي، وإثارة انفعاله المناسب عن طريق تشخيص المعاني المجرّدة في صور حسيّة، يخيل إلى المتلقي أنّها متّحدة بها، متمثلة فيها، وإنّما يصار إلى ذلك من أجل المبالغة في توكيد الصفات، وإثباتها للمعاني، التي يراد عرضها من خلال الصورة، ومن أجل جعل التخييل، الذي تحدثه الصورة في مخيلة المتلقي عن طريق التشخيص، أقدر على إحداث الاستجابة المناسبة))[٩٨]، وبذا تركت الصورة في هذا القول أثرا في ذهن المتلقي ونفسه، ما جعله يؤمن بهذه الحقيقة، وهي، كما قرر الامام عليه السلام، أنّ من يطمئنّ إلى شيء، ويثق به قبل أن يختبره، فإنّه قد عرّض نفسه إلى الهلكة والخسران.

والاستعارة المكنية التخييلية، التي استثمر الامام عليه السلام قدرتها على تجسيد الأفكار والمعاني، نجدها في قوله: **((الأيام تهتك لك الأمر عن الأسرار الكامنة))**.

فقد شبّه الامام عليه السلام الأيام برجل ذي خبرة قادر على كشف ما خفي من الأمور، وحذف المشبّه به (الرجل ذا الخبرة)، وأبقى لازمة من لوازمه (تهتك). فالصورة الاستعارية، التي ظهرت ملامحها في هذا القول، قد أضفت على (الأيام) صفة الآدمية،

فبدت شخصا يكشف (تهتك) الأستار، ويسبر الأغوار، ويظهر الأسرار، وبذا يكون الامام عليه السلام قد وظّف فن الاستعارة التخييلية، ليجسّد المعنى، الذي سعى إلى إيصاله إلى المتلقي، ليرسّخ المعنى في ذهنه، ويترك أثرا في نفسه، إذ إنّ التعبير الاستعاري أبلغ من الحقيقة، وذلك ((لما فيه من البيان بالإخراج إلى ما يدرك بالأبصار))[٩٩]، واخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه حاسة.

وفن آخر، من الفنون البيانية، التي استثمر الامام عليه السلام قدرتها على التصوير والتجسيد، وهو (فن الكناية)، وهي من عناصر التعبير غير المباشر، وهي، مضافا إلى ذلك، ((تحقّق أهدافا لغوية وفنية وفكرية يمكن تجسيدها بعبارة تؤكّد أنّ هذا الفن القولي يمتاز بحسن التعبير وعمق التأثير))[١٠٠]، وذلك بخلق صور تؤثّر في نفس المتلقّي والمتذوّق.

ففي قوله عليه السلام: **((مقتل الرجل بين فكّيه))**.

كناية عن موصوف، وهو اللسان. فالإمام عليه السلام أراد أن يحذّر الإنسان، وينبّهه إلى أنّ كلامه (لسانه) كثيرا ما يجرّ عليه الهلاك والدمار، ولكنّه عليه السلام لم يستعمل، لهذا المعنى، اللغة المباشرة، بل عمد إلى (فنّ الكناية)، لبلوغ مقصده، وليجعل لقوله أثرا في ذهن المتلقي ونفسه، وإقناعا له، إذ إنّنا نجد، في الكناية، معنيين: معنى بعيد، وهو ما يريده المنشئ، وآخر قريب، تدل عليه الألفاظ بدلالتها الحقيقية، لا يريده المنشئ، وهذا ما أشار إليه عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، وهو يعرّف الكناية[١٠١].

والمتلقي، في الصورة الكنائية، ((لا ينتقل ذهنه إلى المعنى البعيد، الذي يريده المتكلّم في الأساس مباشرة، وإنّما يحتاج إلى شيء من الروية وإعمال الفكر))[١٠٢].

وهو، أي المتلقي، حينما يتعرّف على المعنى الذي يقصده المنشئ، ويشير إليه في الصورة الكنائية بعد معاناة وتفكير، فإنّه يحسّ بالمتعة والسعادة، إذ النفس بطبيعتها تشعر بسعادة غامرة حينما تظفر بالشيء بعد طول معاناة وتعب من أجل الحصول عليه، وسيقع الظفر بالمعنى المراد من نفس المتلقي موقع البشرى، لشعورها بحلاوة الفهم[١٠٣]، ذلك أنّ مزية الكناية تكمن في طريق إثبات المعنى، وليس في المعنى نفسه، الذي يقصد إليه المنشئ، فزيادة إثبات المعنى يجعله أبلغ وآكد وأشدّ، ذلك أنّ وظيفة الكناية تكمن في خلق صور تؤثّر في نفس المتلقي والمتذوّق، وهذا التأثّر لا يحدث إذا كان الكلام مستعملا على التصريح[١٠٤].

من كلّ هذا نفهم مدى قيمة الصورة الكنائية، التي وردت في أقوال الامام محمد الجواد عليه السلام، والتي تتمثّل في جعل المتلقي يقف عندها متأمّلا محاولا الوصول إلى المعنى الذي قصد إليه الامام عليه السلام، ما جعل المعنى راسخا في ذهنه، مؤثّرا في وجدانه، مترجما له في سلوكه وتعاملاته، ما ينعكس إيجابا على المجتمع المسلم، الذي أراد الامام عليه السلام، بحكمه وأمثاله، أن يحدّد ملامحه، ويبنيه بناء قائما على أسس قوية، الأسس التي أراد الإسلام أن يبنى عليها المجتمع.

من هذه الحكم والأمثال، التي ذكرها الشيخ باقر القرشي (رحمه الله تعالى) في موسوعته: موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، والتي ذكرها أستاذنا الأستاذ الدكتور محمد حسين علي الصغير (رحمه الله تعالى) في موسوعته: (موسوعة أهل البيت الحضارية)، ووصفها بـ (الألفاظ الجارية مجرى الأمثال)[١٠٥]، ينعكس إسهام الامام محمد الجواد عليه السلام الفكري في بناء الفرد والمجتمع عقليّا وروحيّا وذوقيّا بأداء فنيّ جميل.

هوامش البحث

(١) الأنعام/١٥٣
(٢) المائدة /٦٦
(٣) النحل /١٢٥
(٤) آل عمران /١٥٩
(٥) تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي: ٣
(٦) ظ: تحف العقول: ١٠
(٧) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٤٩٧
(٨) المصدر نفسه: ٦١
(٩) ظ: المصدر نفسه: ١٤
(١٠) ظ: الدرس الدلالي عند عبدالقاهر الجرجاني: ٤٩٧
(١١) ظ: البيان والتبيين: ٩٦/١
(١٢) آل عمران /١٣٥
(١٣) آل عمران /١٥٩
(١٤) ظ: جواهر البلاغة: ٧٢
(١٥) دلائل الاعجاز: ١٧٤

(١٦) موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ١٥٢/٣٢
(١٧) المصدر نفسه: ١٥٨
(١٨) النحل /٩٦
(١٩) أخرجه الحاكم وصحّحه
(٢٠) ظ: أساليب البيان في القرآن: ٢١
(٢١) مفتاح العلوم: ٢٥٨
(٢٢) دلائل الاعجاز: ١٧٤
(٢٣) ظ: جواهر البلاغة: ٧١
(٢٤) المصدر نفسه: ٧١
(٢٥) دلائل الاعجاز: ١٧٤، ظ: مفتاح العلوم: ٢٠٨
(٢٦) في النحو العربي - نقد وتوجيه: ٤١ من كتاب: تطور دراسة الجملة العربية بين النحويين والأصوليين: ٨٧.
(٢٧) أساليب البيان في القرآن: ٥١
(٢٨) تحف العقول: ٣٥
(٢٩) موسوعة سيرة اهل البيت عليهم السلام: ١٥٦/٣٢
(٣٠) البقرة /٢٧٤
(٣١) الرعد /٢٢
(٣٢) فاطر/٢٩ -٣٠
(٣٣) هود /١١٣
(٣٤) ظ: علم المعاني - د. بسيوني: ٣١٧، أساليب المعاني في القرآن: ٨١ -٨٢
(٣٥) ظ: جواهر البلاغة: ٩٥ -٩٦، بعض الباحثين يطلق على الاستفهام الخارج إلى معان بلاغية استفهاما غير محض، وهو، في ذلك، يعترض على البلاغيين المتأخّرين، الذين يطلقون على هذه المعاني (المعاني المجازية للاستفهام): ظ: علم المعاني - د. بسيوني: ٣١٦ -٣١٨
(٣٦) يوسف /٦٤
(٣٧) فاطر /٤٤
(٣٨) التوبة /٢
(٣٩) يوسف/٦٤
(٤٠) ديوان الامام عليّ بن ابي طالب: ٩٥
(٤١) أساليب المعاني في القرآن: ٨٢
(٤٢) الأنعام /١٠٨
(٤٣) ظ: موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ٣٢ /١٦٢
(٤٤) معاني النحو: ٤٧/٤

(٤٥) ظ: موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ١٥٤/٣٢

(٤٦) إبراهيم /٧

(٤٧) ظ: أسرار البلاغة: ٢٠

(٤٨) علم البديع - د. بسيوني: ١١٣

(٤٩) أساليب علم البديع في القرآن: ٢٦٣

(٥٠) البلاغة والتطبيق: ٤٤٣

(٥١) العنكبوت /٣١

(٥٢) الحشر/١٧

(٥٣) ظ: موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ١٥٢/٣٢ -١٥٣

(٥٤) النمل/١٢٨

(٥٥) المائدة/٩٣

(٥٦) ظ: موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ١٥٨/٣٢

(٥٧) الشعراء/٨٤

(٥٨) النحل/١٢٥

(٥٩) ظ: موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ١٦٣/٣٢

(٦٠) تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي: ٣٣

(٦١) ظ: اللسان: مادة (سجع): ٢٠٥/٥

(٦٢) ظ: كتاب الصناعتين: ٢٦٦، الإيضاح: ٣٦٢، المثل السائر: ١٩٠/١، التبيان في البيان:٣٥٨، نقلا من: الأمثال العربية القديمة - دراسة بلاغية: ٢٠٤

(٦٣) ظ: المثل السائر: ١٩٣/١، علم البديع - د. بسيوني: ١٦٨، الأمثال العربية القديمة - دراسة بلاغية: ٢٠٦

(٦٤) ظ: مبادئ النقد الأدبي: ١٩٢

(٦٥) ظ: دير الملاك: ٢٨٥، مفهوم الشعر: ٤٠٢

(٦٦) ظ: الطراز: ٢٥٦/٢

(٦٧) ظ: منهاج البلغاء: ١١٧، الأمثال العربية القديمة - دراسة بلاغية: ٢٠٧

(٦٨) التعبير الموسيقي: ٢١، ظ: المثل في نهج البلاغة: ٧٦

(٦٩) مبادئ النقد الأدبي: ١٨٨

(٧٠) الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ٣١٦، ظ: المثل في نهج البلاغة: ٢٠٨

(٧١) ظ: المثل في نهج البلاغة: ٢١٨

(٧٢) ظ: البيان والتبيين: ٢٧٨/١، المثل في نهج البلاغة: ٧٦

(٧٣) الإبلاغية في البلاغة العربية: ٦٥

(٧٤) موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام: ١٦٥/٣٢

(٧٥) أنوار الربيع في أنواع البديع: ٩٧/١، ظ: كتاب الصناعتين: ٣٣٠، مفتاح العلوم: ٦٦٨
(٧٦) ظ: المثل في نهج البلاغة: ٢٠٩
(٧٧) معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها: ٨٣/١
(٧٨) أسرار البلاغة: ١٦
(٧٩) ظ: المثل في نهج البلاغة: ٢٠٩
(٨٠) ظ: الإيضاح: ٥٣٨، البلاغة والتطبيق: ٤٥
(٨١) المثل في نهج البلاغة: ٢١١
(٨٢) الإبلاغية في البلاغة العربية: ١٥١
(٨٣) ظ: المثل في نهج البلاغة: ١٣٢
(٨٤) جواهر البلاغة: ٢٤٧
(٨٥) أساليب البيان في القرآن: ٢٠٦
(٨٦) ظ: المصدر نفسه: ٢٠٧
(٨٧) أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: ٨٠
(٨٨) فنون التصوير البياني: ٧١
(٨٩) أساليب البيان في القرآن: ٢٥٣
(٩٠) المثل السائر: ٣٨١/١، ظ: المثل في نهج البلاغة: ١٨٨
(٩١) الحجرات/١٠
(٩٢) النحل/١١٤
(٩٣) النحل/١٩
(٩٤) إبراهيم/٢٩
(٩٥) هود/٨٥
(٩٦) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ٢١٩
(٩٧) البلاغة والتطبيق: ٣٦٥
(٩٨) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ١٧٧
(٩٩) النكت في إعجاز القرآن - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٩٢
(١٠٠) أساليب البيان في القرآن: ٧١٣
(١٠١) ظ: دلائل الإعجاز: ٦٦
(١٠٢) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ٢٣٠
(١٠٣) ظ: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ٢٣٠، الإبلاغية في البلاغة العربية: ١٥٨
(١٠٤) ظ: أساليب البيان في القرآن: ٧١٣ - ٧١٤
(١٠٥) موسوعة أهل البيت الحضارية: ١٨١

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

١. الإبلاغية في البلاغة العربية - سمير أبو حمدان - (منشورات عويدات - بيروت - باريس - ط١ ١٩٩١م).

٢. أساليب البيان في القرآن - السيد جعفر باقر الحسيني - (قم - مؤسسة بوستان كتاب - مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الاعلام الإسلامي).

٣. أساليب البديع في القرآن - السيد جعفر باقر الحسيني - (قم - مؤسسة بوستان كتاب - مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الاعلام الإسلامي ١٤٢٩هـ).

٤. أساليب المعاني في القرآن السيد جعفر الحسيني - قم - مؤسسة بوستان كتاب - مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الاعلام الإسلامي - ١٤٢٧هـ).

٥. أسرار البلاغة - أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١هـ) - قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر - (الناشر دار المدني بجدة - ط١ - ١٤١٢هـ /١٩٩١م).

٦. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية - د. مجيد عبدالجبار ناجي - (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - ط١ (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٧. أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم - د. محمد حسين علي الصغير - (دار المؤرّخ العربي - بيروت - لبنان ط١ - ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

٨. الأمثال العربية القديمة - دراسة بلاغية - وجدان صالح عباس (أطروحة جامعية مكتوبة بالآلة الكاتبة مقدّمة إلى كلية الآداب لنيل درجة الدكتوراه - ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

٩. أنوار الربيع في أنوار البديع - السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ)- حقّقه شاكر هادي شاكر - مطبعة النعمان - النجف الأشرف ١٩٦٨م).

١٠. الإيضاح في علوم البلاغة - للإمام الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) - شرح وتعليق وتنقيح د. محمد عبدالمنعم خفاجي (الشركة العالمية للكتاب - بيروت - لبنان - ١٩٨٩م

١١. البلاغة والتطبيق - د. أحمد مطلوب ود. كامل حسن البصير - التعليم العالي والبحث العلمي - ط٢ -١٤٢٠هـ /١٩٩٩م).

١٢. البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون - (الناشر مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة ط٥ - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

١٣. تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي - د. محمود البستاني - (مجمع البحوث الإسلامية - بيروت - لبنان).

١٤. تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي - د. شوقي ضيف (دار المعارف بمصر ط٧ - ١٩٧٦م).

١٥. تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم) - الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني (من أعلام القرن الرابع) - قدّم له وعلّق عليه الشيخ حسين الأعلمي (منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان ط٧ - ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

١٦. تطور دراسة الجملة العربية بين النحويين والأصوليين - د. صالح الظالمي (مكتبة المواهب للطباعة والنشر - النجف الأشرف - ط٢ - ١٤٢٦هـ).

١٧. التعبير الموسيقي - د. فؤاد زكريا - (مكتبة مصر - ط١ - ١٩٨٠م).

١٨. جواهر البلاغة - السيد أحمد الهاشمي - (المكتبة التجارية الكبرى بمصر - ط١٢ - ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م).

١٩. الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني - د. تراث حاكم مالك الزيادي - (طباعة ونشر مكتبة المثقّف - بغداد - العراق - ط١ - ١٤٢٩هـم٢٠٠٨م).

٢٠. دلائل الإعجاز - أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت ٤٧١هـ) - قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر - (الناشر مطبعة المدني - المؤسسة السعودية بمصر - دار المدني بجدة - ط٣ - ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

٢١. دير الملاك - دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر - د. محسن أطيمش - دار الرشيد للنشر - ١٩٨٢م).

٢٢. ديوان الامام عليّ بن أبي طالب عليه السلام - اعتنى به عبدالرحمن المصطاوي

٢٣. الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي - غانم جواد - (جامعة بغداد - ١٩٧٦م).

٢٤. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز - الامام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني - تحقيق د. عبدالحميد هنداوي (المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م).

٢٥. علم المعاني - دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني - د. بسيوني عبدالفتاح فيود - (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - ط٢ - ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م).

٢٦. في النحو العربي نقد وتوجيه - د. مهدي المخزومي - (منشورات المكتبة المصرية - لبنان).

٢٧. فنون التصوير البياني - د. توفيق الفيل - (منشورات ذات السلاسل - الكويت - ط١ - ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م).

٢٨. كتاب الصناعتين - أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري - تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - (المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ط١ - ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م).

٢٩. لسان العرب - جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ) - حقّقه وعلّق عليه ووضع حواشيه عامر أحمد حيدر - راجعه عبدالمنعم خليل إبراهيم (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط٢ - ٢٠٠٩م).

٣٠. مبادئ النقد الأدبي - أ. ا رتشاردز - ترجمة وتقديم د. مصطفى بدوي - مراجعة د. لويس عوض (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر).

٣١. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الثير (ت٦٣٧هـ) - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - القاهرة - ١٩٣٩م).

٣٢. المثل في نهج البلاغة - دراسة تحليلية فنيّة - عبدالهادي عبد الرحمن (من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية ٢٠١٣م - ط١ - بغداد ٢٠١٣م).

٣٣. مفتاح العلوم - أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكّاكي (ت ٦٢٦هـ) - حقّقه وقدّم له وفهرسه د. عبدالحميد هنداوي - (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

٣٤. مفهوم الشعر - دراسة في التراث النقدي - د. جابر أحمد عصفور - (المركز العربي للثقافة والفنون - ١٩٨٢م).

٣٥. معاني النحو - د.فاضل صالح السامرائي - (دار السلاطين - الأردن - عمان - ط١ - ١٤٣١هـ /٢٠١٠م).

٣٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها - د. أحمد مطلوب - (مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - لبنان).

٣٧. منهاج البلغاء وسراج الأدباء - أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) - تقديم محمد الحبيب ابن خوجة - تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن خوجة - (دار الغرب الإسلامي - ط٣ - ١٩٨٦م).

٣٨. موسوعة أهل البيت عليهم السلام الحضارية - الامام محمد الجواد عليه السلام - معجزة السماء في الأرض - أ.د. محمد حسين علي الصغير - (مؤسسة البلاغ - دار سلوني - ط١ - ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

٣٩. موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام - باقر شريف القرشي - تحقيق مهدي باقر القرشي - (مؤسسة الامام الحسن عليه السلام لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام - ط٤ - ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).

٤٠. النكت في إعجاز القرآن - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - أبو الحسن علي بن عيسى (ت٣٨٦هـ) - حقّقها وعلّق عليها محمد خلف الله أحمد ود. محمد سلام زغلول - (دار المعارف - ط٥ - ٢٠٠٨م).